


# أبو بكر الصديق

محمد رضا

# أبو بكر الصديق

محمد رضا

فهرس

بسم اللّه الرحمن الرحيم

# مقدمة

- أحمد اللّه وأستغفره على نعمائه الجمة وآلائه التـي لا تعد ولا تحصى، وأستغفره من كبائر الـذنوب وصـغائرها، وأسأله الهداية والتوفيق. وأصلي وأسلم على محمد رسـول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

أما بعد فقد كنت شديد الرغبة في تأليف سيرة رسـول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لنشرها علـى العـالم الإسـلامي فقضيت الأيام والليالي الطوال في الإطلاع والبحث في كتب السير فجمعت شتاتها وشـرحت الغـامض منهـا وحققـت الروايات وأثبت تواريخ الوقائع ورددت على الاعتراضـات والترهات ردوداً مدعمة بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة، فجاء الكتاب وافياً بغرضي من حيـث إيصـال المعلومـات الصحيحة إلى العالم الإسلامي. ولما فرغ طبعه، تلقاه الناس بالقبول والاستحسان وأقبلوا على مطالعته بشـوق وشـغف، ونال بحمد اللّه وفضله رضا العامة والخاصة وتواردت علي

رسائل التفريط والتشجيع من الكبراء والعلماء والأدباء حتى عجزت عن شكرهم على ثقتهم بشخصي العاجز الضـعيف، وشعرت بقوة تدفعني إلى مواصلة البحث والتأليف بـالرغم من كثرة المشاغل الدنيوية. وقد سألني كثير من الأصـدقاء الأعزاء أن أتبع سيرة رسول اللّه بسير الخلفاء بنفس الطريقة التي انتهجتها فسرتني فكرتهم ولم يسعني إلا إجابـة طلـبهم واستخرت اللّه تعالى أن أكتب سيرة أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه فإنه أول الخلفاء الذين أمرنا رسول اللّه بالاقتداء بهم والاهتداء بهديهم.

لما توفي النبي صلى اللّه عليه وسلم ارتجـت العـرب واختلف المسلمون ولا سيما الأنصـار والمهـاجرون فـي الخلافة فتدارك الأمر أبو بكر بحكمته وسرعة بديهته وتمت له البيعة بالإجماع. وقد برهن رضي اللّه عنه أنه أكفأ رجل وأنه رجل الساعة وقتئذ لأن العرب عنـدما سـمعوا بوفـاة رسول اللّه ارتد كثير منهم واستفحل أمر المرتدين في جزيرة العرب، وظهر المتنبئون وجمعوا جيوشـهم وثـاروا علـى المسلمين. فمنهم من خرج عن الإسلام، ومنهم من منع الزكاة ووضع الصلاة وأباح المحرمات وطرد كثيراً مـن الـولاة،

ولولا شدة تمسك أبي بكر بسنة رسول اللّه وقـوة عزيمتـه وشجاعته لتغلب المرتدون وقضوا علـى الإسـلام قضـاء مبرماً. ولقد هال أمر المرتدين فـي بـادئ الأمـر كبـراء الصحابة، ولكن أبا بكر ثبت ولم يتزعزع وظهرت كفايته في إرسال الجيوش واختيار القواد والولاة إلـى جميـع أنحـاء جزيرة العرب، فكبح جماح المرتدين وهزمهم شـر هزيمـة واستتب الأمن في البلاد في أقل من سنة. ولم يقتصر علـى ذلك بل بعث الجيوش إلى العراق والشام فانهزمـت الفـرس والروم ومن والاهما من العرب. وقد تم ذلك كله فـي مـدة خلافته وهي سنتان وأشهر، ولا شك أن هذه مـدة قصـيرة بالنسبة إلى ما تم في خلالها من جلائل الأعمال، وقـد مهـد بذلك طريق الفتوحات الإسلامية لمن جاء بعد مـن الخلفـاء واتضحت بذلك حكمة رسول اللّه في اختيار أبي بكر بعده.

وقد كان رضي اللّه عنه مع ذلك لطيفاً وديعاً متواضعاً زاهداً في الدنيا متقشفاً عادلاً غير طامع في ملك أو غنى، بل كان كل همه نشر الإسلام وتوطيد أركانه واتباع سنة رسول اللّه. وقد كان مؤلفاً لقلوب المسلمين. وعلى العموم كان خير قدوة لهم في دينهم ودنياهم. وقد اختار لهم خير من يصـلح

للخلافة بعده وهو عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه الذي كان وزيره وقاضيه وملازماً له طول مدة خلافته وذلـك حفظـاً لكيان الإسلام.

هذا هو أبي بكر الصديق خليفة رسول اللّه الذي عنيت بترجمة حياته وشرح خلافته ومآثره في كتابي هـذا، وإنـي لأرجو اللّه سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في عملي. كما أرجو أن ينتفع به المسلمون ويتدبروا في سير سلفهم الصالح بعد أن سهلت لهم ما يتعسر فهمه من حيث شـرح المواقـع وسير الرجال وضبط التواريخ وتفسـير الألفـاظ الغامضـة تسهيلاً للبحث والمراجعة وتوفيراً للوقت. وإنني فـي الختـام أقدم مزيد شكري لجميع الذين أبـدوا اهتمـامهم وإعجـابهم بمؤلفي "محمد رسول اللّه" ولا شك أني مـدين لهـم بهـذا العطف والتشجيع.

# ترجمة حياة أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه

- هو عبد اللّه بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعـب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشـي التيمـي. يلتقي مع رسول اللّه في مرة بن كعب. أبو بكر الصديق بن أبي قحافة. واسم أبي قحافة عثمان. وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وهي ابنة عم أبي قحافة.

أسلم أبو بكر ثم أسلمت أمه بعده، وصحب رسول اللّـه صلى اللّه عليه وسلم. قال العلماء: لا يعرف أربعة متناسلون بعضهم من بعض صحبوا رسول اللّـه، إلا آل أبـي بكـر الصديق وهم: عبد اللّه بن الزبير، أمه أسماء بنت أبي بكـر بن أبي قحافة. فهؤلاء الأربعة صحابة متناسلون. وأيضا أبو عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة رضي اللّه عنهم.

ولقب عتيقاً لعتقه من النار وقيل لحسن وجهـه. وعـن عائشة رضي اللّه عنها أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسـلم

قال: (أبو بكر عتيق من النار) فمن يومئذ سـمي (عتيقـا).
وقيل سمي عتيقا لأنه لم يكن في نسبه شـيء يعـاب بـه.
وأجمعت الأمة على تسميته صديقاً. قال علي بن أبي طالـب
رضي اللّه عنه: (إن اللّه تعالى هو الذي سمى أبا بكر علـى
لسان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم صديقا) وسبب تسميته
أنه بادر إلى تصديق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ولازم
الصدق فلم تقع منه هنات ولا كذبة في حال مـن الأحـوال.
وعن عائشة أنها قالت:

(لما أسري بالنبي صلى اللّه عليه وسلم إلـى المسـجد
الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كان آمـن
وصدق به وفتنوا به. فقال أبو بكر: إني لأصدقه في ما هـو
أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء غدوة وروحة، فلذلك سمي
أبا بكر الصديق).

وقال أبو محجن الثقفي:

وسميت صديقا وكل مهاجر ** سواك يسمى باسمه غير منكر

سبقت إلى الإسلام واللّه شاهد ** وكنت جليسا في العريش المشهر

ولد أبو بكر سنة ٥٧٣ م بعد الفيل بثلاث سنين تقريبا، وكان رضي اللّه عنه صديقا لرسول اللّه قبل البعث وهو أصغر منه سنا بثلاث سنوات وكان يكثر غشيانه في منزله ومحادثته. وقيل كنى بأبي بكر لابتكاره الخصال الحميدة. فلما أسلم آزر النبي صلى اللّه عليه وسلم في نصر دين اللّه تعالى بنفسه وماله. وكان له لما أسلم ٤٠,٠٠٠ درهم أنفقها في سبيل اللّه مع ما كسب من التجارة.

قال تعالى ﴿ **وسيجنبها الأتْقَى * الذِي يؤْتِي مالَهُ يتَزكى*وما لأحدٍ عِنْدَه مِن نعمةٍ تُجزى**﴾ الليل ١٧-١٩

وقد أجمع المفسرون على أن المراد به أبو بكر. وقد رد الفخر الرازي على من قال إنها نزلت في حق علي رضي اللّه عنه.

كان أبو بكر رضي اللّه عنه من رؤساء قريش في الجاهلية محببا فيهم مؤلفا لهم، وكان إليه الأشناق [١] في الجاهلية. كان إذا عمل شيئاً صدقته قريش، وأمضوا حمالته وحمالة من قام معه، وإن احتملتها غيره خذلوه ولم يصدقوه. فلما جاء الإسلام سبق إليه، وأسلم من الصحابة بدعائه خمسة

---

[١] الأشناق: الديات، ج شَنَق.

من العشرة المبشرين بالجنة وهم: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقـاص، وطلحة بن عبيد اللّه، وأسلم أبواه وولداه وولـد ولـده مـن الصحابة فجاء بالخمسة الذين أسلموا بدعائه إلى رسول اللّـه فأسلموا وصلوا.

وقد ذهب جماعة إلى أنه أول من أسلم؛ قال الشـعبي: سألت ابن عباس من أول من أسلم؟ قال: أبو بكر،أما سمعت حسان يقول:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة ** فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها ** بعد النبي وأوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده ** وأول الناس قدما صدق الرسلا

وكان أعلم العرب بأنساب قريش وما كان فيها من خير وشر. وكان تاجرا ذو ثروة طائلة، حسن المجالسـة، عالمـا بتعبير الرؤيا، وقد حرم الخمر على نفسه في الجاهليـة هـو وعثمان بن عفان. ولما أسلم جعل يدعو الناس إلى الإسـلام قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم (ما دعوت أحـدا إلـى

الإسلام إلا كانت عنده كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر رضي اللّه عنه ما علم عنه حين ذكرته له) أي أنه بادر إليه. ونزل فيه وفي عمر {وشاورهم في الأمر} آل عمـران ١٥٩ فكان أبو بكر بمنزلة الوزير من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فكان يشاوره في أموره كلها.

وقد أصاب أبا بكر من إيذاء قريش شئ كثير. فمن ذلك أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لما دخـل دار الأرقـم ليعبد اللّه ومن معه من أصحابه سرا ألح أبو بكر رضي اللّه عنه في الظهور، فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم يا أبا بكر إنا قليل. فلم يزل به حتى خرج رسول اللّه صلى اللّه عليـه وسلم ومن معه من الصحابة رضي اللّه عنهم وقام أبو بكـر في الناس خطيبا ورسول اللّه صلى اللّه عليه وسـلم جـالس ودعا إلى رسول اللّه، فهو أول خطيب دعا إلى اللّه تعـالى فثار المشركون على أبي بكر رضـي اللّـه عنـه وعلـى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضرباً شديداً. ووطئ أبو بكر بالأرجل وضرب ضربا شديدا. وصار عتبـة بـن ربيعـة يضرب أبا بكر بنعلين مخصوفتين ويحرفهما إلى وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه، فجاءت بنـو تـيم يتعـادون

فأجلت المشركين عن أبي بكر إلى أن أدخلـوه منزلـه ولا يشكون في موته، ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة، ثم رجعوا إلى أبي بكـر وصـار والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى آخر النهار، ثم تكلم وقال: ما فعل رسول الله صلى اللّـه عليـه وسـلم؟ فعذلوه فصار يكرر ذلك فقالت أمه: واللّـه مـا لـي علـم بصاحبك. فقال اذهبي إلى أم جميل فاسأليها عنه وخرجـت إليها وسألتها عن محمد بن عبد الله، فقالت: لا أعرف محمداً ولا أبا بكر ثم قالت: تريدين أن أخرج معك؟ قالـت: نعـم. فخرجت معها إلى أن جاءت أبا بكر فوجدته صريعا فصاحت وقالت: إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وإنني لأرجـو أن ينتقم الله منهم، فقال لها أبو بكر رضي الله عنه: مـا فعـل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: هذه أمك، قال فـلا عين عليك منها أي أنها لا تفشي سرك. قالت: سالم هو فـي دار الأرقم. فقال: والله لا أذوق طعاما ولا أشرب شـرابا أو آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت أمه فأمهلناه حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكئ علـي حتـى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق لـه رقـة

شديدة وأكب عليه يقبله وأكب عليه المسلمون كذلك فقال بأبي أنت وأمي يا رسول اللّه ما بي من بأس إلا ما نال الناس من وجهي، وهذه أمي برة بولدها فعسى اللّه أن يستنقذها من النار، فدعا لها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ودعاها إلى الإسلام فأسلمت [1] .

ولما اشتد أذى كفار قريش لم يهاجر أبو بكر إلى الحبشة مع المسلمين بل بقي مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم تاركا عياله وأولاده وأقام معه في الغار ثلاثة أيام؛ قال اللّه تعالى ﴿ **كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾التوبة ٤١

ولما كانت الهجرة جاء رسول اللّه صلى اللّه عليه إلى أبي بكر وهو نائم فأيقظه، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: قد أذن لي في الخروج قالت عائشة: فلقد رأيت أبا بكر يبكي من الفرح، ثم خرجا حتى دخلا الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام [2] . وأن رسول اللّه لولا ثقته التامة بأبي بكر لما

---

(1) راجع السيرة الحلبية.

(2) راجع "الهجرة إلى المدينة" في كتاب محمد رسول اللّه للمؤلف صفحة ١٥٤.

صاحبه في هجرته فاستخلصه لنفسه. وكل من سوى أبي بكر فارق رسول اللّه، وإن اللّه تعالى سماه (ثاني اثنين).

قال رسول صلى اللّه عليه وسلم لحسان بن ثابت: هـل قلت في أبي بكر شيئا؟ فقال: نعم. فقال: قل وأنا أسمع. فقال:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ** طاف العدو به إذ صعد الجبلا

وكان حِب رسول اللّه قد علموا ** من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول اللّه حتى بدت نواجذه، ثم قال: صدقت يا حسان هو كما قلت.

وكان النبي صلى اللّه عليه وسلم يكرمه ويجله ويثنـي عليه في وجهه واستخلفه في الصلاة، وشهد مع رسول اللّـه بدرا وأحدا والخندق وبيعة الرضوان بالحديبية وخيبر وفـتح مكة وحنينا والطائف وتبوك وحجة الوداع. ودفع رسول اللّه رايته العظمى يوم تبوك إلى أبي بكر وكانت سوداء، وكـان فيمن ثبت معه يوم أحدا وحين ولى الناس يوم حنين. وهـو من كبار الصحابة الذين حفظوا القرآن كله. ودفع أبو بكـر عقبة بن معيط عن رسول اللّه لما خنق رسول اللّـه وهـو

يصلي عند الكعبة خنقا شديدا. وقال {أَتَقْتُلُون رجلاً أَن يقُـولَ ربي اللّه وقَد جاءكُم بِالْبينَاتِ مِن ربكُم}. المؤمن ٢٨

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (لو كنت متخـذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً). رواه البخاري ومسلم

وأعتق أبو بكر سبعة ممن كانوا يعذبون في اللّه وهـم: بلال وعامر بن فهيرة، وزنيرة، والنهدية، وابنتها، وجاريـة بني مؤمل، وأم عبيس. وكان أبو بكر إذا مدح قال: (اللّهـم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم. اللّهم اجعلنـي خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بمـا يقولون).

قال عمر رضي اللّه عنه: أمرنا رسول اللّه صلى اللّـه عليه وسلم أن نتصدق ووافق ذلك مالا عندي. فقلـت اليـوم أسبق أبا بكر إن سبقته، فجئت بنصف مالي. فقال: ما أبقيت لأهلك؟ قلت مثله. وجاء أبو بكر بكل ما عنده. فقال: يا أبـا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم اللّه ورسوله. قلـت: لا أسبقه إلى شئ أبدا.

روي لأبي بكر رضي اللّه عنه عن رسول اللّه صـلى اللّه عليه وسلم ١٤٢ حديثا اتفق البخاري ومسلم منها علـى

ستة، وانفرد البخاري بأحد عشر، ومسـلم بحـديث واحـد.
وسبب قلة رواياته مع تقدم صحبته وملازمته النبي صلى اللّٰه عليه وسلم أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الأحاديـث واعتنـاء التابعين بسماعها، وتحصيلها، وحفظها.

# بعض الأحاديث المصرحة بفضل أبي بكر

- عن عمرو بن العاص: أن النبي عليه السلام بعثه على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليـك؟ فقال: عائشة. فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها. فقلت ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب. فعد رجالا. رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلى اللّـه عليـه وسلم: (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر اللّه إليه يـوم القيامـة) فقال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم (إنك لست تصـنع ذلك خيلاء) رواه البخاري.

وعن أبي هريرة: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمـن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن عاد مـنكم اليـوم مريضا؟ قال أبو بكر: أنا. فقال رسول اللّه صلى اللّه عليـه وسلم: ما اجتمعن في امرئ إلا ودخل الجنة) رواه مسلم.

وهن أبي هريرة: أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسـلم كان على حراء هو وأبو بكر، وعمـر، وعثمـان، وعلـي، وطلحة، والزبير. فتحركت الصخرة فقال النبي عليه السلام: (اهدأ فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد) رواه مسلم.

وعن حذيفة قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسـلم (اقتدوا باللذَين من بعدي أبي بكر وعمر) رواه الترمذي.

وعن ابن عمر: أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال لأبي بكر (أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغـار) رواه الترمذي وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللّـه عليـه وسلم (ما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر) فبكـى أبو بكر وقال: وهل أنا ومالي إلا اك يا رسول اللّه.

ومن فضائله رضي اللّه عنه:

أن عمر بن الخطاب كان يتعاهد عجوزاً كبيرة عميـاء في بعض حواشي المدينة من الليل فيستقي لها ويقوم بأمرها. فكان إذا جاء وجد غيره قد سبقه إليها فأصـلح مـا أرادت. فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها فرصده عمر فـإذا الـذي يأتيها هو أبو بكر الصديق، وهو خليفة. فقال عمر: أنت هو لعمري.

وهو أول خليفة في الإسلام، وأول أمير أرسـل علـى الحج، حج بالناس سنة تسع هجرية، وأول من جمع القـرآن، وأول من سمى مصحف القرآن مصحفاً، وكان يفتي النـاس في زمان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أبو بكر وعمر.

توفي أبو بكر يوم الاثنين ٢٢ جمـادى الآخـرة سـنة ١٣هـ - ٢٣ أب - أغسطس سنة ٦٣٤ وتوفي أبوه بعـده بنحو ستة أشهر وله ٦٣ سنة كرسول اللّه صلى اللّـه عليـه وسلم وعمر بن الخطاب.

صفته رضي اللّه عنه

- كان أبو بكر رجلا أبيض خفيف العارضين لا يتمسك إزاره، معروق الوجهة، ناتئ الجبهة عاري الأشاجع [1] أَقْنَى

---

([1]) الأشاجع هي أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف. وقيل هي عروق ظاهر الكف.

[1] غائر العينين حمش الســاقين [2] ممحــوص الفخــذين [3] يخضب بالحِناء والكَتَم [4].

---

([1]) أي ارتفع أنفه واحدودب وسطه وسبغ طرفه وقيل نتأ وسط قصبته وضاق منخراه فهو أقنى.

([2]) دقيقهما.

([3]) أي خاص من الاسترخاء.

([4]) الكتم من نبات الجبال ورقه كورق الآس يخضب به مدقوقاً وله ثمر كقدر الفلفل ويسود إذا نضج.

# زوجاته وأولاده.

- تزوج أبو بكر في الجاهلية (قتيلة بنت سعد) فولدت له عبد اللّه وأسماء. أما عبد اللّه فإنه شهد يوم الطائف مع النبي صلى اللّه عليه وسلم وبقي إلى خلافة أبيه، ومات في خلافته وترك سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكـر. وولـد لعبـد اللّـه اسماعيل فمات ولا عقـب لـه. وأمـا أسـماء فهـي ذات النطاقين،و هي التي قطعت قطعة من نطاقها فربطت به على فم السفرة في الجراب التي صنعت لرسول اللّه، وأبي بكـر عند قيامها بالهجرة وبذلك سميت (ذات النطاقين) وهي أسـن من عائشة. وكانت أسماء أشجع نسـاء الإسـلام، وأثبـتهن جأشا، وأعظمهن تربية للولد على الشهامة، وعـزة الـنفس، تزوجها الزبير بمكة فولدت له عدة أولاد، ثم طلقها فكانـت مع ابنها عبد اللّه بن الزبير حتى قتل بمكة، وعاشـت مائـة سنة حتى عميت، وماتت.

وتزوج أبو بكر أيضا في الجاهلية (أم رومان) فولـدت له عبد الرحمن، وعائشة زوجة رسول اللّه توفيت في حيـاة رسول اللّه في سنة ست من الهجرة فنزل رسول اللّه قبرهـا

واستغفر لها، وكانت حية وقت حديث الإفك، وحديث الإفـك في سنة ست فن شعبان، فعبد الرحمن شقيق عائشـة، شـهد بدرا وأحدا مع الكفار، ودعا إلى البراز فقام إليه أبـو بكـر ليبارزه، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه وسـلم (متعنـا بنفسك) وكان شجاعاً رامياً، أسلم في هدنة الحديبية وحسـن إسلامه، شهد اليمامة مع خالد بن الوليـد فقتـل وهـو مـن أكابرهم، وهو الذي قتل محكم اليمامة بن الطفيل الذي كـان من قواد بني حنيفة المشهورين، رماه بسهم في نحره فقتلـه، كما سيأتي ذكر ذاك في موقعة اليمامة،. وكان عبد الـرحمن أسن ولد أبي بكر وكان فيه دعابة. توفي فجأة بمكان اسـمه حبش على نحو عشرة أميال من مكة، وحمل إلى مكة ودفن فيها، وكان موته سنة ٥٣ هجرية.

وتزوج أبو بكر في الإسلام (أسماء بنت عميس) وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب. فلما قتل جعفر تزوجهـا أبـو بكر الصديق فولدت له محمد بن أبي بكر ثـم مـات عنهـا فتزوجها علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه مصـر فقاتلـه صاحب معاوية، وظفر به فقتله، وولد له القاسم.

وتزوج أيضا في الإسلام (حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير الخزرجي) فولدت له جارية سمتها عائشة أم كلثوم. تزوجها طلحة بن عبيد اللّه فولدت له زكريا، وعائشة، ثم قتل عنها فتزوجها عبد الرحمن بن عبيد اللّه بن أبي ربيعة المخزومي.

قال الأستاذ واشنجتون إيرفنج في كتاب (محمد وخلفاؤه):

كان أبو بكر رجلا عاقلا سديد الرأي وقد كان في بعض الأحيان شديد الحذر والحيطة في إدارته، لكنه كان شريف الأغراض غير محب للذات، ساعيا للخير لا لمصلحته الذاتية فلم يبتغ من وراء حكمه مطامع دنيوية بل كان لا يهمه الغنى، زاهدا في الفخر، راغبا عن اللذات ولم يقبل أجرا على خدماته غير مبلغ زهيد يكفي لمعاش رجل عربي عادي ما كان يرد إليه في يوم الجمعة إلى المحتاجين، والفقراء، ويساعد المعوزين بماله الخاص.

حديث السقيفة وبيعة أبي بكر الصديق.

- توفي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة (٩ حزيران

يونيه سنة ٦٣٢ م) فهب الأنصار يطالبون بالخلافة قبـل أن يدفن رسول اللّه مع أم المهاجرين لم يكونوا قد فكـروا فـي الخلافة، بل كان كبار الصحابة مشغولين بتجهيز رسول اللّه ودفنه، وطمع سعد بن أبي عبادة في أن يكون خليفة ويكنـى أبا ثابت، وكان نقيب بني سعادة والسيد المطاع في الخزرج.

اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة [1] وجاؤوا بسـعد بن أبي عبادة وهو مريض بالحمى ليبايعوه، وطلبوا إليـه أن يخطب. فقال لابنه أو بعض بني عمه: إني لا أقدر لشـكواي أن أسمع القوم كلهم كلامي، ولكن تلق مني قولي فأسـمعهم، فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله فيرفع صوته فيسمع أصحابه.

---

([1]) سقيفة بني ساعدة بالمدينة وهي ظلة كانوا يجلسون تحتها. أما بنو ساعدة الذين أضيفت إليهم السقيفة فهم حي من الأنصار وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج وكانت دار سعد مما يلي سوق المدينة وعندها السقيفة.

# خطبة سعد بن عبادة

- قال سعد بعد أن حمد اللّه وأثنى عليه:

(يا معشر الأنصار، لكم سابقة في الدين، وفضيلة فـي الإسلام ليست لقبيلة من العرب. إن محمدا عليه السلام لبـث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأنداد والأوثان، فما آمن به من قومه إلا رجال قليـل، مـا كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول اللّه، ولا أن يعزوا دينه، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما عموا به، حتى إذا أراد بكم الفضيلة، ساق إليكم الكرامة وخصكم بالنعمة، فرزقكم الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، والإعزاز لـه ولدينـه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشد الناس على عدوه حتى اسـتقامة العرب لأمر اللّه طوعا وكرهـا، وأعطـى البعيـد المقـادة صاغرا داخرا حتى أثخن اللّه عز وجل لرسوله بكم الأرض، ودانت بأسيافكم له العرب، وتوفاه اللّه وهو عنكم راض وبكم قرير عين استبدوا بالأمر دون الناس، فإنه لكم دون الناس [1]

---

([1]) تاريخ الطبري (الجزء الثالث)

هذه خطبة سعد بن عبادة. فقد كان يرى أن المهـاجرين استبدوا بالأمر، وأن الأنصار أحق بالولاية للأسـباب التـي ذكرها، مع أن المهاجرين لم يكونـوا قـد اجتمعـوا، ولـم يتشاوروا في أمر الخلافة، ولم يقرروا شيئا. ولا شك في أن هذه الخطبة حازت استحسان الأنصار، ولا سيما الخـزرج، فأجابوا بأجمعهم أن قد وفقت في الرأي، وأصبت في القول، وان نعدو ما رأيت، نوليك هذا الأمر فإنك فينا مقنع، ولصالح المؤمنين رضاً.

وطبيعي أن يحتج المهاجرون على هذا الكلام،. فقالوا: نحن المهاجرون وأصحاب رسول اللّه الأولون، وعشـيرته وأولياؤه. فقال الأنصار: (منا أمير ومنكم أمير) ولن نرضى بدون هذا أبدا. فقال سعد: (هذا أول الوهن).

بلغ عمر بن الخطاب ما كان من خطبة سعد وما وقـع من خلاف بين الأنصار الذين أثاروا هذا الموضـوع وبـين المهاجرين، فجاء إلى منزل رسول اللّه؛ وأرسل إلى أبي بكر أن أخرج إلي فأرسل إليه أني مشتغل فأرسل إليـه أنـه قـد حدث أمر لا بد لك من حضوره. فخرج فأعلمه الخبر فمضيا مسرعين إلى السقيفة ومعهما أبو عبيدة بن الجـراح، وأراد

عمر رضي اللّه عنه أن يبدأ بالكلام، فأسكته أبو بكر قـائلا: (رويداً حتى أتكلم) ثم تكلم بكل ما أراد أن يقول عمر.

# خطبة أبي بكر الصديق

- بدأ أبو بكر فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال:

(إن اللّه بعث محمدا رسولاً إلى خلقه، وشهيدا على أمته ليعبدوا اللّه ويوحدوه، وهم يعبدون من دونـه آلهـة شـتى، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة، ولهم نافعة وإنما هـي مـن حجر منحوت، وخشب منجور. ثم قرأ: {**ويعبدون مِـن دون اللّه ما لاَ يضرهم ولاَ ينْفَعهم ويقُولُون هؤُلاَءِ شُفَعاؤُنَا عِنْـد اللّه**} يونس ١٨ {**وقَالُوا ما نَعبدهم إِلا لِيقَربونَـا إِلَـى اللّـه زلْفَى**} الزمر ٣. فعظم على العرب أن يتركوا دين آبـائهم، فخص اللّه المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، والإيمـان به، والمواساة له، والصبر معه على شدة أذى قـومهم لهـم، وتكذيبهم إياهم، وكل الناس لهم مخالف. زار علـيهم، فلـم يستوحشوا لقلة عددهم، وشنف الناس لهم [1] وإجماع قـومهم عليهم، فهم أول من عبد اللّـه فـي الأرض، وآمـن باللّـه والرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من

---

([1]) بغض الناس لهم.

عبده، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم، أنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين، ولا سابقتهم العظيمة في الإسـلام. رضيكم اللّه أنصارا لدينه ولرسوله، وجعل إلـيكم هجرتـه وفيكم جلة أزواجه وأصحابه فليس بعد المهاجرين الأولـين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الـوزراء، لا تُفْتـاتون بمشْورة، ولا تقضى دونكم الأمور.

# خطبة الحباب بن المنذر

- فقام الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزرجي السلمي، ويكنى أبا عمر وكان يقال له ذو الرأي. فقال:

(يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإن الناس في فيئكم وفي ظلكم ولن يجتري مجترئ على خلافكم، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم، أنتم أهل العز والثروة، وأولو العدة والمنعة والتجربة، ذوو البأس والنجدة وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد رأيكم، وينتقض عليكم أمركم أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنهم أمير).

ورد عمر بن الخطاب على الحباب فقال:

(هيهات لا يجتمع اثنان في قَرن [(١)] واللّه لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمرهم فيهم، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان

---

([1]) القرن: الجبل، ولا يقال للجبل قرن حتى يقرن فيه بعيران.

المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أوليـاؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم [1] أو متورط في هلكة). فقام الحباب بن المنذر فقال:

(يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا علكـم ما سألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولـوا علـيهم هـذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم فإنه بأسـيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين، أنا جذَيلها [2] المحكـك وعذَيقُها المرجب، أما والله لو شئتم لنعيدنها جذَعة).

---

([1]) متجانف لإثم: أي مائل متعمد.

([2]) الجذل: أصل الشجرة، وعود ينصب لتحتك به الجربى من الإبل فتستشفى به، والعذق: النخلة بحملها وقول الحباب: "أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب" مثل يضرب لمن يستشفى برأيه ويعتمد عليه، أي قد جربتني الأمور ولي رأي وعلم يستشفى بهما كما تستشفى هذه الإبل بهذه الجذل. وصغره على جهة المدح وصغر الغذق على جهة المدح أو التعظيم. والترجيب: أن تدعم الشجرة إذا كثر حملها لئلا تتكسر أغصانها. وقيل ترجيبها هو أن يوضع الشوك حوالي الأعذاق لئلا يصل إليها فلا تسرق. وقد أراد بالترجيب التعظيم.

لقد لج الحباب في الخصومة، واستعمل في خطبته ألفاظا شديدة وحرض الأنصار على إجلاء المهاجرين من المدينة إذا لم يولوهم الخلافة وتوعدهم بالشر لذلك قال له عمر محتدا، إذن يقتلك اللّه. قال: بل إياك يقتلك.

قال أبو عبيدة:)يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من غير وبدل).

وعندئذ قام بشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس الخزرجي الأنصاري، ويكنى أبا النعمان فقال:

(يا معشر الأنصار إنا واللّه كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضا ربنا، وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا. فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك، ألا إن محمدا صلى اللّه عليه وسلم من قريش وقومه به أحق وأولى، وايم اللّه لا يراني اللّه أنازعهم هذا الأمر أبدا فاتقوا اللّه ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم).

فأراد أبو بكر بحكمته أن يضع حدا لهذا الخلاف خشية استحكامه فرشح للخلافة اثنين من المهاجرين قائلا: (هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا).

فقالا: (لا واللّه لا نتولى هذا الأمر عليك، فإنك أفضل المهاجرين وثاني إثنين إذ هما في الغار وخليفة رسول اللّه على الصلاة والصلاة أفضل دين المسلمين فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك، أو يتولى هذا الأمر عليك أبسط يدك نبايعك).

فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فهو على ذلك أول من بايع أبا بكر الصديق.

ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد، وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض وفيهم أُسيد بن حضير (الذي كان رئيس الأوس يوم بعاث ومن أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان أحد المشهود لهم بالعقل وأحد النقباء):

واللّه لئن وِليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً فقاموا إليه فبايعوه، فأنكر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعواه له من أمرهم.

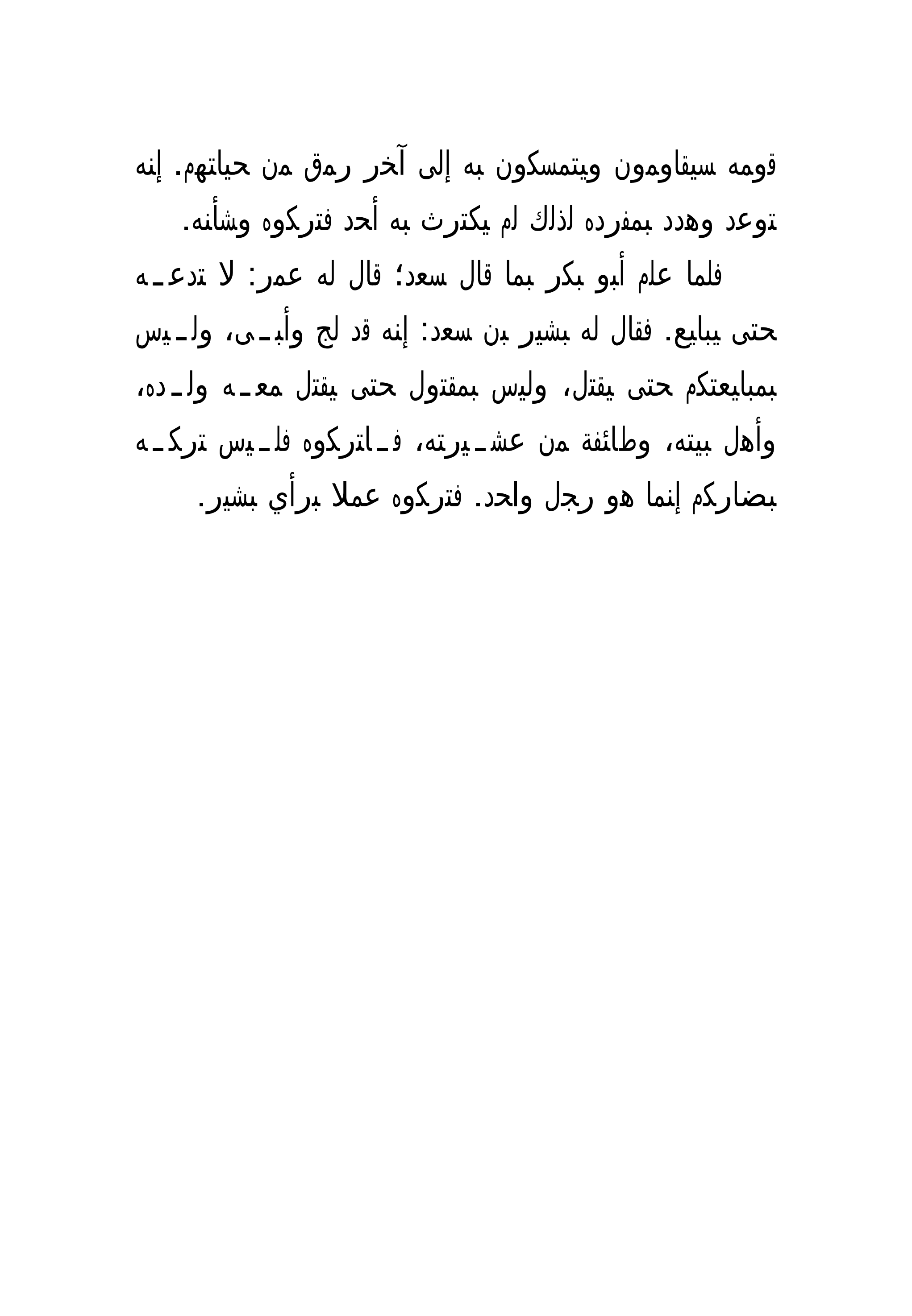
ولم يلق الرأي الذي قاله الأنصار (منا أمير ومنكم أمير) قبولا حتى سعد نفسه فإنه لما سمع به قال: (هذا أول الوهن) لأن انقسام القوة موهن لها،و كذا رفضه عمر حيث

قال: (هيهات لا يجتمع اثنان في قرن) وأسرع عمر في مبايعة أبي بكر علما منه بمكانته واعترافا بفضله.

أقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب، وأقبلت أسلم بجماعاتها حتى تضايقت بهم السكك فبايعوا فكان عمر يقول: (ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر) وكاد الناس من شدة الزحام يطأون سعد بن عبادة الذي كان يومئذ مريضا ولا يستطيع النهوض، وحدثت بينه وبين عمر مشادة، وأخيرا حمل سعد وأدخل في داره وترك أياما ثم بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك فقال:

(أما واللّه حتى أرميكم بما في كنانتي من نبل، وأخضب سنان رمحي وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي، فلا أفعل. وايم اللّه لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم ما حسابي).

هذا ما أجاب به سعد من دعوه إلى مبايعة أبي بكر بعد أن علم أن البيعة قد تمت ولكن ماذا يفيد امتناعه عن البيعة، وليس له أنصار ولا أغلبية لقد طمع في الخلافة، وظن أن



قومه سيقاومون ويتمسكون به إلى آخر رمق من حياتهم. إنه توعد وهدد بمفرده لذلك لم يكترث به أحد فتركوه وشأنه.

فلما علم أبو بكر بما قال سعد؛ قال له عمر: لا تدعه حتى يبايع. فقال له بشير بن سعد: إنه قد لج وأبى، وليس بمبايعتكم حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده، وأهل بيته، وطائفة من عشيرته، فاتركوه فليس تركه بضاركم إنما هو رجل واحد. فتركوه عملا برأي بشير.

## تخاف علي رضي اللّه عنه عن البيعة

- قال الزهري: (بقي علي وبنو هاشم والزبير ستة أشهر لم يبايعوا أبا بكر حتى ماتت فاطمة رضي اللّه عنها فبايعوه [1] وكانت فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول اللّه مما أفاء اللّه عليه بالمدينة وفَدك [2] وما بقي من خمس خيبر فأبى أبو بكر أن يدفع إليها شيئا؛ لأن رسول اللّه قال: (لا نُورثُ ما تركناه صدقة) فوجدت فاطمة على أبي بكر الصديق في ذلك ولم تكلمه حتى توفيت.

وقد كان علي رضي اللّه عنه يرى أنه أحق بالخلافة من أبي بكر لقرابته من رسول اللّه، لذلك فقد تخلف عن البيعة [3] مع أن رسول اللّه لما مرض وتعذر عليه الخروج

---

[1] أصح الأقوال أن فاطمة توفيت بعد رسول اللّه بستة أشهر.

[2] قرية بخيبر.

[3] وفي أسد الغابة رواية عن يحيى بن عروة المرادي؛ قال سمعت علياً رضي اللّه عنه يقول قُبض النبي صلى اللّه عليه وسلم وأنا أرى أني أحق بهذا الأمر. فاجتمع المسلمون على أبي بكر فسمعت وأطعت. ثم إن أبا بكر أصيب فظننت أنه لا يعدلها عني. فجعلها في عمر فسمعت وأطعت. ثم إن عمر أصيب فظننت أنه لا يعدلها عني فجعلها

إلى الصلاة. قال مروا أبا بكر فليصل بالنـاس. فقالـت لـه عائشة: يا رسول اللّه إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء قال: مروا أبا بكر فليصـل بالنـاس. فعاودته مثل مقولتها. فقال: إنكن صواحبات يوسف. مـروا أبا بكر فليصل بالناس. وفي تقديمه أبا بكر إلى الصلاة إشارة إلى أنه الخليفة بعده قال الزبير: لا أغمد سيفا حتـى يبـايع علي. فقال عمر: خذوا سيفه واضربوا به الحجر. ثم أتـاهم عمر فأخذهم للبيعة. وقيل لما سمع علي ببيعة أبي بكر خرج في قميصه ما عليه إزار، ولا رداء عجلا حتى يبايعـه ثـم استدعى إزاره ورداءه فتجللّه. قال ابن الأثير: والصحيح أن أمير المؤمنين ما بايع إلا بعد ستة أشهر.

وممن تخاف عن بيعة أبي بكر عتبة بـن أبـي لهـب، وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبـو ذر، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب وأبـي بـن كعـب ومالوا مع علي، وتخلف أيضا أبو سفيان من بني أمية.

---

==في ستة أنا أحدهم فولوها عثمان فسمعت وأطعت. ثم إن عثمان قتل فجاءوا فبايعوني طائعين غير مكرهين. الخ.

# أفضل الناس بعد رسول اللّه

- أفضل الناس بعد رسول اللّه صلى اللّه عليـه وسـلم (أبو بكر) رضي اللّه عنه. وقالت الشيعة وكثير من المعتزلة هو (علي) وهؤلاء جوزوا إمامـة المفضـول مـع وجـود الفاضل. وحجتهم أن قيام علي بالجهاد كان أكثر من قيام أبي بكر فوجب أن يكون علي أفضل منه لقوله تعالى: {وفَضـلَ اللّه المجاهِدِين علَى الْقَاعِدِين َأجراً عظِيماً}.

وأجاب أهل السنة عنه بأن الجهاد على قسمين: جهـاد بالدعوة إلى الدين وجهاد بالسيف. ومعلوم أن أبا بكر رضي اللّه عنه جاهد في الدين في أول الإسلام بدعوة الناس إلـى الإسلام. وبدعوته أسلم عثمان، وطلحة، والزبيـر، وسـعد، وسعيد، وأبو عبيدة بن الجراح رضي اللّه عـنهم أجمعـين. وعلي رضي اللّه عنه إنما جاهد بالسيف عند قوة الإسـلام، فكان الأول أولى، وحجة القائلين بفضل أبي بكر رضي اللّه

عنه قوله صلى اللّه عليه وسلم:(ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر [1]

---

([1]) راجع كتاب معالم أصول لفخر الدين محمد بن عمـر الـرازي – الباب العاشر في الإمامة – المسألة السابعة

# تجهيز رسول اللّه ودفنه

- بعد أن بويع أبو بكر جهز رسول اللّـه ودفـن ليلـة الأربعاء وقد غسل في قميصه وغسله العباس، والفضل وقُثَم ابنا العباس، وأسامة بن زيد، وشقران مولى رسـول اللّـه، وحضرهم أوس بن خَولى الأنصاري من بئر يقال لها الغَرس لسعد بن خثيمة بقباء، وكان العباس وابناه يقلبونه، وأسـامة وشقران يصبان الماء، وعلي يغسله وعليه قميصـه، وهـو يقول (بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً وميتاً). وكفن في ثلاثة أثواب يمانية [1] بيض من كرسف (قطن) لـيس فـي كفنـه قميص ولا عمامة ولا عروة.

وبعد أن غسل رسول اللّه وكفن، وضع علـى سـرير وأدخل عليه المسلمون أفواجا يقومون ويصلون عليـه، ثـم يخرجون ويدخل آخرون ولم يؤمهم في الصلاة عليـه إمـام حتى إذا فرغت الرجال دخلت النساء ثم دخل الصبيان.

---

([1]) وقيل: في ثلاثة أثواب سحولية. وسحول - مثل رسـول - بلـدة باليمن يجلب منها الثياب

وكان أول من دخل أبو بكر وعمر. فقالا: (السلام عليك أيها النبي.. ورحمة اللّه وبركاته) ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار قدر ما يسع البيت، فسلموا كما سـلم أبـو بكـر، وعمر، وصفوا صفوفا لا يؤمهم عليه أحد فقـال أبـو بكـر وعمر وهما في الصف الأول حيال رسول اللّه:

(اللّهم إنا نشهد أن قد بلّغ ما أنزل عليه ونصح لأمتـه، وجاهد في سبيل اللّه حتى أعز اللّه دينه، وتمت كلماته فآمن به وحده لا شريك له. فاجعلنا يا إلهنا ممن يتبع القول الـذي أنزل معه، واجمع بيننا وبينه حتى يعرفنا ونعرفه، فإنه كـان بالمؤمنين رؤوفا رحيما. لا نبتغي بالإيمان بديلا، ولا نشتري به ثمنا أبدا).

فيقول الناس آمين آمين، ثم يخرجون ويدخل غيـرهم. ولما فرغوا نادى عمر خلوا الجنازة وأهلها.

ولما اختلفوا في موضع دفنه قال أبـو بكـر: سـمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول: (ما مات نبي قط إلا يدفن حيث تقبض روحه) قال علي: وأنا أيضا سمعته، فرفع فراشه ودفن. ولما أرادوا أن يحفروا لرسول اللّه كان بالمدينة رجلان أبو عبيدة بن الجراح يضرح لأهل مكة، وكان أبـو

طلحة الأنصاري هو الذي يلحد لأهل المدينة. فجاء أبو طلحة وألحد لرسول اللّه، وجعل في قبره قطيفة حمراء كان يلبسها فبسطت تحته، وكانت الأرض ندية، ورش قبره صلى اللّـه عليه وسلم بلال بتربة بدا من قبل رأسه وجعل عليـه مـن حصباء العرصة [1] حمرا وبيضا، ورفع قبره عـن الأرض قدر شبر، ونزل قبره علي، والفضل وقـثم ابنـا العبـاس، وشقران، وأوس بن خولى الأنصاري.

---

([1]) عرصة الدار: ساحتها وهي البقعة الواسعة التي ليس فيهـا بنـاء والجمع عراص وعرصات

# خطبة أبي بكر بعد البيعة

- بعد أن تمت بيعة أبي بكر بيعة عامة، صعد المنبـر وقال بعد أن حمد اللّه وأثنى عليه:

(أيها الناس قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصـدق أمانـة، والكـذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء اللّه تعالى، لا يدع أحد منكم الجهاد، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم اللّـه بالـذل، أطيعوني ما أطعت اللّه ورسوله فإذا عصيت اللّه ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم اللّه [1].

فيا لها من كلمات جامعة حوت الصراحة والعدل، مـع التواضع والفضل، والحث على الجهاد لنصرة الدين وإعلاء شأن المسلمين.

---

([1]) الجزء الثاني من تاريخ الكامل لأبن الأثير.

# إرسال جيش أسامة بن زيد [1]

- يوم الأربعاء ١٤ ربيـع الأول سـنة ١١هـ ـ (١١ حزيران - يونيه ٦م)

كان رسول الله قد استعمل أسامة بـن زيـد، وأمـره بالتوجه إلى حدود الشام للأخذ بثأر من قتل في غزوة مؤتة، وقد كان رسول الله قد ضرب البعث على أهل المدينة ومـن حولها، وفيهم عمر بن الخطاب وعسكر جيش أسامة بالجرف [2] فاشتكى رسول الله ثم وجد من نفسه راحة فخرج رسول الله عاصبا رأسه فقال:

(أيها الناس أنفذوا جيش أسامة) ثلاث مرات. وقال: (إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبلـه،

---

([1]) هو أسامة بن زيد بن حارثة، أمه أم أيمـن وكـان أسـود أفطس. أردفه رسول الله خلفه يوم الفـتح علـى راحلتـه القصـواء واستعمله وهو ابن ثماني عشرة سنة. روي له عن رسول اللّـه ١٢٨ حديثاً وروى عنه ابن عباس وجماعة من كبار التابعين وكانت وفاتـه بالمدينة وقيل بوادري القرى وحمل إلى المدينة سنة ٥٤ هـ.

([2]) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحـو الشـام. انظر خريطة مكة والمدينة من (كتاب محمد رسول الله) للمؤلف.

وايم اللّه إنه كان خليقا للإمارة، وايم اللّه إنه لمن أحب الناس إلي من بعده).

وذلك لأن الناس طعنوا في إمارة أسامة، لأنه كان شابا لم يتم العشرين من عمره.

توفي رسول اللّه ولم يسر الجيش، وارتـد كثيـر مـن العرب ونجم النفاق، واشرأبت أعنـاق اليهـود والنصـارى وبقي المسلمون لا يدرون ماذا يصنعون لوفاة نبيهم، وقلـة عددهم، وكثرة عدوهم. فقال الناس لأبـي بكـر: إن جـيش أسامة جند المسلمين، والعرب قد انتقضت بك فلا ينبغـي أن تفرق عنك جماعة المسلمين.

فماذا يصنع أبو بكر؟ إنهم يعترضون على إمارة أسامة لصغر سنه، ويعترضون على إرسال جيش المسلمين لارتداد العرب، وقلة عدد المسلمين، وخزفهم على مركزهم بالمدينة. غير أن رسول اللّه كان يشدد في إرسال جيش أسامة، وقـد أخذ أبو بكر عهدا على نفسه بأن لا يعصي اللّـه ورسـوله. فهل يخالف أمر رسول اللّه؟ كلا، فإن ذلك ليس من طبيعتـه ولا من خلقه، وإنما خلقه الثبات إلى آخر لحظة وتنفيذ أوامر رسول اللّه بكل دقة في كل كبيرة وصغيرة مهما كلفه ذلـك

لقوة إيمانه، وثبات يقينه وعملا بواجب الصداقة. لهذا كانـت إجابته للمعترضين في غاية القوة حيث قال:

(و الذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول اللّه صلى اللّه عليـه وسلم ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته).

وقال لعمر لما أرسله أسامة يستأذنه في الرجوع وطلب إليه الأنصار إن أبى أن يولي عليه من هو أقـدم سـنا مـن أسامة:

(لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضـى بـه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم).

فقال عمر: إن الأنصار أمروني أن أبلغك وأنهم يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلا أقدم سنا من أسامة. فوثـب أبـو بكر وكان جالسا يأخذ بلحية عمر فقال له:

(ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب، استعمله رسـول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وتأمرني أن أنزعه).

فخرج عمر إلى الناس بعد أم سمع ورأى من أبي بكـر ما رأى. فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: امضوا ثكلتكم أمهاتكم، ما لقيت في سببكم من خليفة رسول اللّه.

وإجابة أبي بكر بهذه القوة تذكرنا بما قاله رسول اللّه لعمه أبي طالب حين ظن أنه قد خذله وضعف عن نصرته: (يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره اللّه أو أهلك دونه فيه ما تركته).

خرج أبو بكر حتى أتى الجيش وأشخصهم وشيعهم وهو ماش وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر فقال له أسامة: يا خليفة رسول اللّه، واللّه لتركبن أو لأنزلن. فقال (و اللّه لا تنزل وواللّه لا أركب وما علي أن أغبر قدمي في سبيل اللّه ساعة. فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وترفع عنه سبعمائة خطيئة) حتى إذا انتهى قال إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل، ومعنى ذلك أنه يستأذن أسامة - قائد الجيش - أن يترك له عمر لأنه كان في الجيش فأذن له [١] وكان إرسال الجيش بعد بيعة أبي بكر بيوم أعني يوم الأربعاء ١٤ من ربيع الأول.

---

([١]) ودع أبو بكر أسامة من الجرف ورجع. والجرف موضع قريب من المدينة.

# وصية أبي بكر الجيش

- أوصى أبو بكر جيش أسامة فقال:

(يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني:

لا تخونوا، ولا تَغُلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً أو شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نحلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له. وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شـيئا فاذكروا اسم اللّه عليها. وتلقون أقواما قد فحصـوا أوسـاط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فـأخفقوهم بالسـيف خفقاً. اندفعوا باسم اللّه).

وقال لأسامة (إصنع ما أمرك به نبي اللّه صـلى اللّـه عليه وسلم. ابدأ ببلاد قضاعة ثم ائت آبِلَ ولا تقصرن مـن شئ من أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ولا تعجلن لما خلفت عن عهده).

فسار أسامة وأوقع بقبائل من قضاعة التي ارتدت وغنم وعاد وكانت غيبته أربعين يوما سوى مقامه ومنقلبه راجعـا من غير أن يفقد أحدا من رجاله.

وكان إنفاذ جيش أسامة أعظم الأمور نفعـا للمسـلمين؛ فإن العرب قالوا لو لم يكن بالمسلمين قوة لما أرسـلوا هـذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه.

ولم نعثر في المراجع التاريخية عن عدد جيش أسـامة ولا على قوة جيش العدو وخسائره، ولم نعلم ما هي الغنـائم التي غنمها المسلمون.

# إمارة باذان على اليمن [1] في عهد رسول الله.

- باذان رجل من الفرس بعثه كسرى أبرويز إلى اليمن نائبا عليها فبقي إلى بعثة رسول الله صلى الله عليه وسـلم وهو آخر من قدم من اليمن من ولاة العجم.

ولما كاتب النبي كسرى بما كاتبه مزق كسرى الكتـاب وبعث إلى باذان أن أرسل إلى هذا الرجل الـذي بالحجـاز رجلين وكتب معهما إلى النبي يأمره بالمسـير معهمـا إلـى كسرى فقال لهم رسول الله: إرجعا وقولا لباذان أسـلم فـإن أسلم أؤمره على ما تحت يده وأملكه على قومه. فأتيـا إلـى باذان وكان كسرى قد مات. فقال بـاذان: إنـي لأراه نبيـا ولننظرن فإن كان ما قال حقا فهو فإنه لنبي مرسل، وإن لـم يكن فنرى فيه رأينا. فلم يلبث أن قدم عليه كتاب شيرويه بن كسرى بقتل كسرى ويأمره بأخذ الطاعة له بـاليمن، فأسـلم

---

([1]) صحة اسمه: باذان بالنون لا باذام كما ذكر خطـأ بتـاريخ الطبري الجزء الثالث صفحة ٢١٣ و٢١٤ المطبوع بالمطبعة الحسينية المصرية.

باذان وأسلم معه جماعة منة العجم وبعث بـذلك سـنة ١٠ هجرية. فجمع له النبي عمل اليمن وأمره على جميع مخاليفه فلم يزل عاملا عليها حتى مات.

فلما مات باذان فرق رسول اللّه أمـراءه فـي الـيمن بالكيفية الآتية:

- ١ - عمرو بن حزم على نجران.
- ٢ - خالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران وزبيد.
- ٣ - عامر بن شهر الهمذاني على همدان.
- ٤ - شهر بن باذان على صنعاء.
- ٥ - الطاهر بن أبي هالة على عك والأشعريين.
- ٦ - أبو موسى الأشعري على مأرب.
- ٧ - يعلى بن أمية على الجند.
- ٨ - زياد بن لبيد الأنصاري على أعمال حضرموت.
- ٩ - عكاشة بن ثور على السكاسِك والسكون.
- ١٠ - عبد اللّه بن قيس أبو موسى الأشعري علـى بنـي معاوية بن كندة.

وكان معاذ بن جبل معلما يتنقل في عمالة كـل عامـل باليمن وحضرموت.

# ظهور المتنبئين في بلاد العرب

- ادعى النبوة بعض العرب في الجهات النائية عن المدينة ومكة مثل اليمامة واليمن توصلا إلى الملك والرياسة والتغلب على القبائل المجاورة لهم، فمنهم من حاول محاكاة القرآن تغريرا بعقول السذج من العرب فجاء كلامه سخيفا مضحكا لا معنى له، ومنهم من لم يقتصر على ذلك بل أتى بالأعاجيب، وما هي إلا شعبذة وكهانة وكحر مبين، لكنهم افتضحوا وظهر كذبهم ونفاقهم.و عدا ذلك فإنهم أحلوا المحرمات وارتكبوا الفواحش فكان مصيرهم الخذلان والفشل. وقد خضعت جميع هذه القبائل إلى الإسلام بفضل حزم أبي بكر الصديق ومحاربته أهل الردة كما سيأتي ذكر ذلك مفصلا. والآن نبدأ بأخبار الأسود العنسي الكذاب:

الأسود العنْسي النبي الكذاب

- الأسود العنسي يلقب بذي الخمار لأنه كان معتماً متخمراً دائماً [1] واسمه عيهلة بن كعب بن عوف العنسي،

---

([1]) متخمراً لابساً الخمار، الخمار ثوب تُغطي به المرأة رأسها.

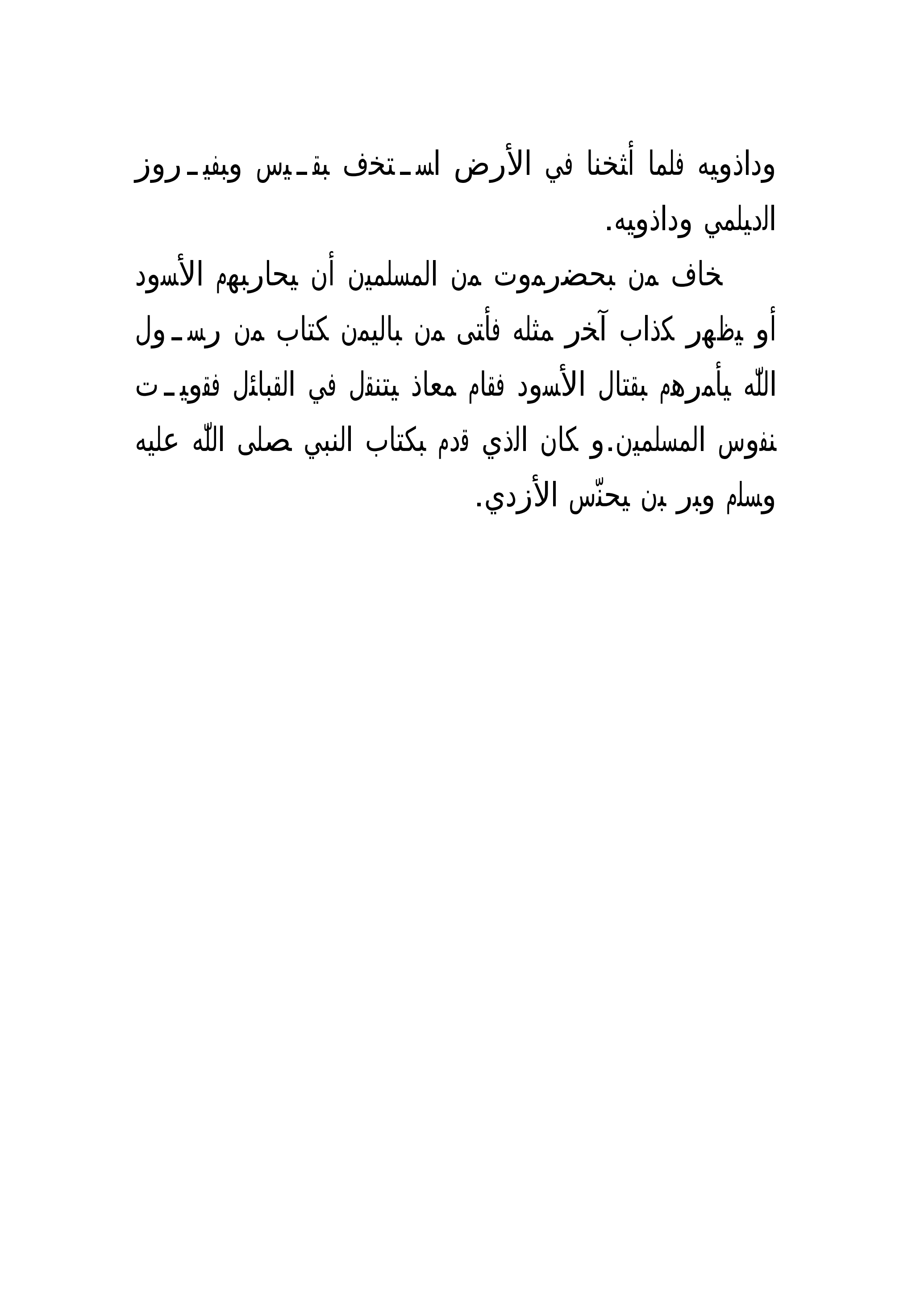
وعنس بطن من مذْحِج [1] وكان كاهناً مشعبذاً يـري قومـه الأعاجيب ويجلبهم بحلاوة منطقة. ادعى النبوة حين مـرض النبي واتبعه مذحج عامة وكانت ردته أول ردة في الإسـلام على عهد رسول اللّه. وقد سمى نفسه رحمن اليمن أي أنـه يتكلم باسم الرحمن، كما سمى مسيلمة رحمن اليمامة. ويقال كان له شيطان يخبره بكل شيء.

فغزا نجران وكان عليها عمرو بن حزم وخالد بن سعيد فأخرجهما ومعه ٧٠٠ فارس إلى صنعاء وعليها شـهر بـن باذان فخرج إليه شهر فقتله الأسود. كان قواده قيس بن عبد يغوث المرادي ومعاوية بن قيس الجنبي ويزيد بـن محـرم ويزيد بن حصين الحارثي ويزيد بن الأفكل الأزدي. استولى الأسود على صنعاء وغلب على حضـرموت إلـى أعمـال الطائف إلى البحرين والأحساء إلى عدن، وقد استولى علـى جنوب غربي بلاد الرب في أقل من شهر وأسند أمر جنـده إلى قيس بن عبد يغوث وأسند أمر الأبناء [2] إلـى فيـروز

---

([1]) البطن دون القبيلة.

([2]) الأبناء هم من أولاد الفرس الذين سيرهم كسرى أنوشـروان مـع سيف بن ذي يزن إلى اليمن لقتال الحبشة فأقاموا باليمن.



وداذويه فلما أثخنا في الأرض اسـتخف بقـيس وبفيـروز الديلمي وداذويه.

خاف من بحضرموت من المسلمين أن يحاربهم الأسود أو يظهر كذاب آخر مثله فأتى من باليمن كتاب من رسـول اللّه يأمرهم بقتال الأسود فقام معاذ يتنقل في القبائل فقويـت نفوس المسلمين.و كان الذي قدم بكتاب النبي صلى اللّه عليه وسلم وبر بن يحنّس الأزدي.

# قتل الأسود العنسي

- من سخافة عقل الأسود استخفافه بقائد جيشه وبفيروز وداذويه وهم الذين أعانوه على إخضاع اليمن له في مدة قصيرة. ثم إنه بعد أن قتل شهر بن باذان تزوج امرأته آزاد وهي ابنة عم فيروز. فلما علم المسلمون تغيره على رئيس جنده دعوه وأنبأوه بكتاب رسول الله بقتل الأسود ففرح فيروز لذلك النبأ وكلموا آزاد زوجته في قتله، وكانت تبغضه لأنه قتل زوجها ولأنه كان سيء الخلق فاسقاً.

تمكن فيروز، وداذويه، وقيس من دخول القصر بالرغم من وجود الحراس وذلك بواسطة نقب نقبوه بإشارة من آزاد ثم انقضوا عليه وقتلوه وحزوا رأسه. ولما طلع الفجر نادوا بشعار المسلمين وهو الأذان. ولما اجتمع المسلمون والكفار ألقوا إليهم الرأس، وبذلك خلصت صنعاء والجنَد [1] من هذا

---

([1]) الجنَد بالتحريك: قال أبو سنان اليمامي: ا ليمن فيها ٣٣ منبراً قديماً و٤٠ حديثاً وأعمال اليمن في الإسلام مقسومة على ثلاثة ولاة: فوال على الجند ومخاليفها وهو أعظمه. ووال على صنعاء ومخاليفها

الشر المستطير، واتفق الناس على تولية معاذ بن جبل فكـان يصلي بالناس، وعاد عمال رسول اللّه إلى أعمالهم وكتبـوا إليه صلى اللّه عليه وسلم بالخبر، فوصل الرسـول المدينـة صبيحة اليوم الذي توفي فيه رسول اللّه، وكان بين خـروج الأسود ومقتله نحو أربعة أشهر.

وقد جاء في أسد الغابة عند ترجمة باذان أن باذان كان له أثر كبير في قتل الأسود مع أنه لم يكن له أي أثر في ذلك لأن باذان مات في عهد رسول اللّه وفرق صلى اللّـه عليـه وسلم أمراءه على اليمن فكان شهر بن باذان علىصنعاء ثـم استولى عليها الأسود الذي قتل غيلة كما تقدم.

---

وهي ==أوسطها، ووال على حضرموت ومخالفيها وهو أدناها. والجنَد مسماة بجند بن شهران بطن من المعافر.

# قتال أهل الردة

- لما توفي رسول اللّه اشتد الأمر على المسلمين لارتداد العرب وخافوا الإغارة على المدينة بعد أن سير أبو بكر جيش أسامة إذ قد استفحل أمر مسيلمة وطليحة واجتمع على طليحة عوام طيء وأسد، وارتدت غطفان تبعا لعيينة بن حصين فإنه قال لنبي من الحليفين - يعني أسدا وغطفان - أحب إلينا من نبي من قريش. وقد مات محمد وطليحة حي فاتبعه وتبعته غطفان وكان عيينة من المؤلفة قلوبهم، ومن الأعراب الجفاة.

وقدمت رسل النبي صلى اللّه عليه وسلم من اليمامة وأسد وغيرهما ودفعوا كتبهم لأبي بكر، وأخبروه الخبر عن مسيلمة، وطليحة، فعزم أبو بكر على قتالهم واستعد لصد هجمات المغيرين إلى أن يأتي جيش أسامة، والآن نذكر ما كان من أمر طليحة الذي ادعى النبوة.

## طليحة الأسدي

- طليحة بن خويلد الأسدي من بني أسد بن خزيمة كان كاهنا فأسلم ثم ارتد وادعى النبوة في حياة رسول اللّه، وظهر في بني أسد واتبعه أفاريق [1] من العرب ونزل سـميراء [2] بطريق مكة، فوجه إليه النبي صلة اللّه عليه وسلم ضرار بن الأزور عاملا على بني أسد، وأمرهم بالقيام على من ارتـد فضعف أمر طليحة حتى لم يبق إلا أخذه فضربه به بسـيف فلم يصنع شيئا، فاعتقد الناس أن السلاح لا يؤثر فيه فكثـر جمعه، ومات النبي صلى اللّه عليه وسلم وهم علـى ذلـك. وأكثر من تبعه من أسد، وغطفان، وطيء، وفزارة وغيرهم، وفر ضرار ومن معه إلى المدينة. وكان طليحـة يـدعي أن جبرائيل كان يأتيه. وكان يسجع للنـاس الأكاذيـب، وكـان يأمرهم بترك السجود في الصلاة يقول: إن اللّـه لا يصـنع بتعفير وجوهكم، وتقبيح أدباركم شيئاً فاذكروا اللّه قياماً فـإن

---

([1]) في الحديث: أفاريق العرب، وهو جمع أفراق وأفراق جمع فرقة.

([2]) سميراء بفتح أوله وكسر ثانيه بالمد وقيل بالضم: ماء بـين ثـور والحاجز في طريق مكة.

الرغوة فوق الصريح. وأنفذ طليحة وفوده إلى أبي بكر فـي الموادعة على الصلاة [1]

وترك الزكاة، فأبى أبو بكر ذلك وكـان لطليحـة أخ يدعى حبال جعله على فريق من أتباعه. ولما عرض الوفـد على أبي بكر ترك الزكاة قال: (والله لـو منعـوني عقـالا لجاهدتهم عليه [2].

---

([1]) الموادعة: المصالحة.

([2]) لو منعوني عقالاً: قيل المراد الحبل وإنما ضرب به مثلاً لتقليل ما عساهم أن يمنعوه. وقيل المراد بالعقال نفس الصدقة.

# الإغارة على المدينة

- توقع أبو بكر الإغارة على المدينة فجعل بعـد سـير الوفد على أنقاب المدينة عليا وطلحة، والزبير، وابن مسعود، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الإغارة من العدو لقربهم. فما لبثوا إلا ثلاثا حتى طرقوا المدينة ليلا، وخلفـوا بعضهم بذي حسى [1] ليكونـوا لهـم رداء [2] فوافـوا لـيلاً الأنقاب، وعليها المقاتلة فمنعوهم خارج المدينة وأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر فخرج إليهم جيش المدينة واتبعوهم حتى إذا كانوا بذي حسى خرج إليهم أصحاب طليحة بقرب قد نفخوها وفيها الحبال فدهدهوها [3] على الأرض فنفرت إبل المسلمين وهم عليها ورجعت بهم إلى المدينة، ولم يصرع مسلم. وظن الكفار بالمسلمين الوهن ثم انضم إلى رجال طليحة غيـرهم من أصحابه، وبات أبو بكر بالمدينة يعبئ الجيش ثم خـرج

---

([1]) ذو حسى: واد بديار عبس وغطفان.

([2]) معيناً.

([3]) دحرجوها.

ليلا يمشي وعلى ميمنته النعمان بن مقرن وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن وعلى الساقة سويد بن مقرن. فما طلع الفجـر إلا وهم والعدو على صعيد واحد، فقاتلهم المسـلمون حتـى ولوا مدبرين، واقتفى أثرهم أبو بكر حتى نزل بذي القَصة [1] وكان ذلك أول فتح فوضع بها الحامية وعليها النعمـان بـن مقرن، وحلف أبو بكر ليقتلن من المشركين بمن قتلـوا مـن المسلمين وزيادة وازداد المسلمون قوة وثباتا.

كانت هذه الموقعة صغيرة، ولكن كان للنصـر الـذي أحرزه أبو بكر شأن كبير، ووقع عظيم في النفوس. وقد كان المرتدون يتحدثون فيما بينهم بقلة عدد المسلمين فلـو أنهـم انهزموا لكان الخطب فادحا. وعلى أثر هذا الانتصار طرقت المدينة الصدقات فانتعش المسلمون وقويت عزيمتهم وكـان أول من جاء بالصدقات إلى الخليفة وفود بني تمـيم وبنـي طيء.

---

(1) ذو القصة: موضع على بريد من المدينة.

# عودة أسامة سنة ١١هـ (سبتمبر سنة ٦٣٢ م).

- وأخيراً عاد أسامة من غزوته، وأصبحت المدينة فـي مأمن من الخطر، ووزع أبو بكر الغنائم على الناس، وقد نال أبو بكر ما أراد من إرسال أسـامة واعتقـد العـرب بقـوة المسلمين. ثم إن أبا بكر استفاد من الفرصة التي سنحت لـه بطرد المرتدين من ذي القَصة إلى الربذَة [١] واستخلف أسامة على المدينة وقال له ولجنده استريحوا وأريحوا ظهوركم ثـم خرج في الذين خرج معهم إلى ذي القصة وهم قوة صغيرة. فقال له المسلمون: ننشدك اللّه يا خليفة رسول اللّه ألا تعرض نفسك فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد علـى العدو فابعث رجلا فإن أصيب أمرت آخر. فقال: (لا واللّه لا أفعل ولأواسينكم بنفسي).

---

(١) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أميـال وبهـا قبـر أبـي ذر وجماعة من الصحابة.

سار أبو بكر إلى ذي حسى، وذي القصة حتـى نـزل بالأبرق [1] فاقتتلوا فهزم الحارث، وعوف، وأخـذ الحطيئـة أسيرا، فطارت عبس، وبنو بكر وأقام أبو بكر على الأبـرق أياما، وغلب على بني ذبيـان وبلادهـم وحماهـا لـدواب المسلمين وصدقاتهم. ولما انهزمت عبس وذبيان رجعوا إلى طليحة وهو ببزاخَة [2] وكان رحل من سميراء إليها، فأقـام عليها، وعاد أبو بكر إلى المدينة.

---

([1]) موضع كان من منازل بني ذبيان.

([2]) بزاخة: ماء لبني أسد بأرض.

## إرسال البعوث إلى المرتدين شعبان سنة ١١هـ (تشرين الأول أكتوبر سنة ٦٣٢ م).

- لما استراح أسامة وجنده وكان قد جـاءتهم صـدقات كثيرة تفضل عنهم نظم أبو بكر البعوث، وعقد الألوية فعقـد أحد عشر لواء. وفيما يلي أسماء القواد ووجهتهم:

- ١ - خالد بن الوليد: سار إلى طليحة بن خويلد الأسدي فإذا فرغ منه سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح إن أقام له.
- ٢ - عكرمة بن أبي جهل: إلى مسيلمة.
- ٣ - المهاجر بن أبي أمية: إلى جنـود العنسـي ومعـون الأبناء على قيس بن المكشوح ثم يمضـي إلـى كِنـدة بحضر موت.
- ٤ - خالد بن سعيد إلى مشارف الشام.
- ٥ - عمرو بن العاص: إلى قضاعة ووديعة.
- ٦ - حذيفة بن محصن الغلفاني: إلى أهل دبا.
- ٧ - عرفجة بن هيثنة: إلى مهرة.

- ٨ - شرحبيل بن حسنة: في أثر عكرمة بن أبي جهل فـإذا فرغ من اليمامة لحق بخيله إلى قضاعة.
- ٩ - معن بن حاجز: إلى بني سليم ومن معهم من هوازن.
- ١٠ - سويد بن مقرن: إلى تهامة باليمن.
- ١١ - العلاء بن الحضرمي: إلى البحرين.

هؤلاء هم القواد الذي اختارهم أبو بكر لقتال أهل الردة وعقد لكل واحد منهم لواء ومن هذا يتبين أنهم أرسلوا إلـى جميع العرب الذين كانوا قد ارتدوا، فما أصعب مهمة أبـي بكر ومهمة قواده الذين كلفوا بإخضاع المرتدين وإعادتهم إلى لواء الإسلام، ولم يبق بالمدينة غير قوة صغيرة. وبقي أبـو بكر في المدينة ولم يبعث عمر بن الخطاب، وعلي بن أبـي طالب، والزبير مع كفـايتهم الحربيـة، بـل أبقـاهم معـه لاستشارتهم.

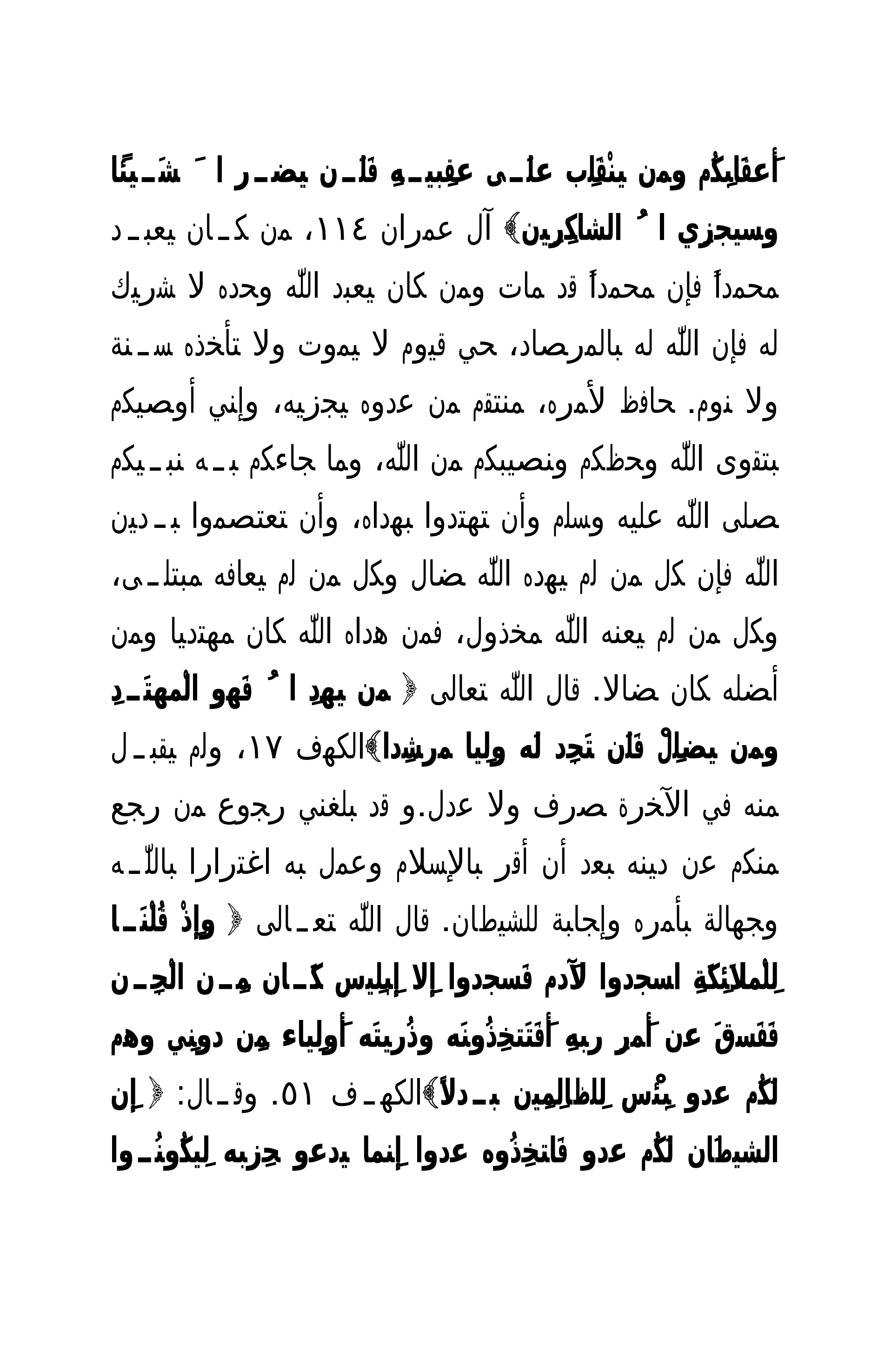
فصلت الأمراء من ذي القصة ونزلوا علـى قصـدهم فلحق بكل أمير جنده وقد عهد إليهم عهده وكتب إلى من بعث إليه من جميع المرتدين.

وهذا نص الكتاب الذي أرسله أبو بكر إلى المرتدين من العرب وأعطى كل أمير نسخة منه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

(من أبي بكر خليفة رسول اللّه صلى اللّه عليـه وسـلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه. سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم اللّه الـذي لا إلـه إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأن محمـدا عبده ورسوله. نقر بما جاء به ونكفر من أبى ونجاهده).

(أما بعد فإن اللّه أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيرا ونذيرا وداعيا إلى اللّه بإذنه وسراجا منيرا لينذر مـن كان حيا ويحق القول على الكافرين. فهدى اللّه بـالحق مـن أجاب إليه وضرب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعا أو كرها، ثم تـوفى اللّه رسوله صلى اللّه عليه وسلم وقد نفذ أمر اللّـه ونصـح لأمته وقضى الذي عليه. وكان اللّه قد بين له ذلـك ولأهـل الإسلام في الكتاب الذي أنزل، فقال {إنك ميت وإنهم ميتون} الزمر ٣٠، وقال ﴿ **وما جعلْنَا لِبشَرٍ من قَبلِك الْخُلْد أَفَإِن مت فَهم الْخَالِدون**﴾ الأنبياء ٣٤، وقال للمؤمنين ﴿**وما محمـد إِلا رسولٌ قَد خلَت مِن قَبلِهِ الرسلُ أَفَإِن ماتَ أَو قُتِلَ انْقَلَبتُم على**



**أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾** آل عمران ١١٤، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد، حي قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم. حافظ لأمره، منتقم من عدوه يجزيه، وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله، وما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله فإن كل من لم يهده الله ضال وكل من لم يعافه مبتلى، وكل من لم يعنه الله مخذول، فمن هداه الله كان مهتديا ومن أضله كان ضالا. قال الله تعالى ﴿ **من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾**الكهف ١٧، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل.و قد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به اغترارا بالله وجهالة بأمره وإجابة للشيطان. قال الله تعالى ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾**الكهف ٥١. وقال: ﴿ **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا**

**مِن أَصحابِ السعِير** ﴾فاطر ٦، وإني بعثت إليكم (فلانا) فـي جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته أن لا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعيـة اللّـه فمـن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحا قبل منه وأعانه عليـه. ومن أبى أمرته أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة، ويسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له ومن تركه فلن يعجز اللّه. وقد أمرت رسـولي أن يقـرأ كتابي في كل مجمع لكم. والداعية الأذان. فإذا أذن المسلمون فأذنوا فكفوا عنهم وإن لم يؤذنوا عاجلوهم وإن أذنوا اسألوهم ما عليهم فإن أبوا عاجلوهم وإن أقروا اقبلوا منهم واحملوهم على ما ينبغي لهم).

هذا إعلان عام للمرتدين وقد أمرهم بالخضوع والعودة إلى الإسلام حالا بمجرد الدعوة وإلا كان كل أمير في حـل من قتل من أبى وحرقه واستعمال الشدة معه وسبي الذراري والنساء.

وأعطى لكل قائد عهدا بوصية بما يجب عليه أن يتبعـه ويسلكه للقيام بالمهمة التي عهد إليه بها. وهذا نص العهد:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

(هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم "لفلان" حين بعثه لقتال من رجع عن الإسلام وعهد إليه أن يتقي اللّه ما استطاع في أمره كله. سره وعلانيته.و أمره بالجد في أمر اللّه ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إلـيهم فيـدعوهم بداعيـة الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبـوه شـنغارته عليهم حتى يقروا له ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم فيأخـذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلى أمر اللّه عز وجل قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف. إنما يقاتل بالمعروف وإنما يقتل من كفر باللّه على الإقرار بما جاء من عند اللّه فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان اللّه حسيبه بعد فمـا استيسـر بـه. ومنلم يجب داعية اللّه قتل وقوتل حيث كـان وحيـث بلـغ مرغمه لا يقبل من أحد شيئا أعطاه إلا الإسلام. فمن أجابـه وأقر قبل منه وعلمه، ومن أبى قاتله. فإن أظهره اللّه عليـه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران. ثم قسم ما أفاء اللّه عليه إلا الخمس فإنه يبلغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفسـاد،

وأن لا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم لئلا يكونوا عيونا ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول).

موقعة بزاخة وفرار طليحة إلى الشام.

- وجه أبو بكر خالد بن الوليد لمحاربة طليحة فإذا فرغ من قتاله سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح [١] .

وكان أبو بكر بعث عدي بن حاتم [٢] قبل خالد بن الوليد إلى طيء وأَتْبَعه خالدا وأمره أن يبدأ بطيء ومنهم يسير إلى بزاخة ثم إلى البطاح ولا يبرح إذا فرغ من قوم حتى يأذن له

---

(١) البطاح: ماء في ديار أسد بن خزيمة.

(٢) عدي بن حاتم الطائي الذي يضرب بأبيه المثل في الجود، وقد وفد عدي على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع في شعبان فأسلم وكان نصرانياً ووفد على أبي بكر في الردة بصدقات قومه وثبت على الإسلام ولم يرتد وكان جواداً شريفاً في قومه معظماً عندهم وعند غيرهم. حاضر الجواب وكان يفت الخبز للنمل ويقول إنهن جارات ولهن حق. توفي سنة ٦٧ هـ.

وأظهر للناس أنه خارج بجيش إلى خيبر حتى يلاقي خالـدا وذلك بقصد إرهاب العدو.

قدم عدي بن حاتم إلى طيء كما أمره أبو بكر ليدعوهم إلى الإسلام قبل أن يحاربهم خالد. فلما دعاهم وخوفهم طلبوا إليه أن يتوسط في تأخير الجيش عنهم ثلاثة أيام حتى يتمكنوا من سحب من انضم إليهم إلى طليحة بن خويلد الأسدي لـئلا يقتلهم. فعاد عدي وأخبر خالدا بالخبر وتأخر وأرسلت طيء إلى إخوانهم عند طليحة فلحقوا بهم فعادت طيء إلـى خالـد بإسلامهم.

بعد ذلك هم خالد بالرحيل إلى جديلة [1] فاستمهله عـدي أيضا ريثما يكلمهم. فذهب إليهم يدعوهم إلى الإسلام فلم يزل بهم حتى أجابوه، فعاد إلى خالد بإسلامهم ولحق بالمسـلمين ألف راكب منهم وكان خير مولود في أرض طيء وأعظمه بركة عليهم لأنه كفاهم شر القتال بدخولهم في الإسلام وأفـاد جيش المسلمين وأراحهم من قتالهم وأفادهم بما انضم إلـيهم منهم، وفي الحقيقة فإن الخدمة التي أداها عـدي بـن حـاتم للطرفين جليلة لا تقدر.

---

(١) بطن من بطون طيء.

وكان خالد قد أرسل عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم طليعة فلقيها حبال أخو طليحة فقتلاه فبلغ خبره طليحة فخرج هو وأخوه سلمة فقتل سلمة فقتل طليحة عكاشة وقتل أخـوه ثابتا ورجعا. فلما أقبل خالد بجيشه رأوا عكاشة وثابتا عكاشة قتيلين فتحرج المسلمون لذاك وقالوا قتل سيدان من سـادات المسلمين وفارسان من فرسانهم.

سار خالد بجيشه إلى بزاخة والتقـى بجـيش طليحـة فتقاتلوا قتالا شديدا وطليحة ملتف في كسائه يتنبأ لهم. وكـان عيينة بن حِصن [1] يقاتل مع طليحة في ٧٠٠ من بني فزارة قتالا شديدا.

ولما اشتدت الحرب كر عيينة بن محصن على طليحـة وقال له: هل جاءك جبريل؟ قال لا. فرجع فقاتل ثم عاد إلى طليحة فقال له لا أباك هل جاءك جبريل؟ قال لا فقال عيينة حتى متى؟ قد واللّه بلغ منا. ثم رجع فقاتل قتالا شديدا. ثم كر

---

([1]) عيينة بن حصن يكنى أبا مالك أسلم بعد الفتح. وقيل أسـلم قبل الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم ومن الأعراب الجفاة، وارتد. وكـان عيينة في الجاهلية من الجرارين يقود عشرة ألاف وتزوج عثمان بـن عفان زوجته.

على طليحة. فقال هل جاءك جبريل؟ فقال نعم. قال: فمـاذا قال لك؟ قال: قال لي: إن لك رحى كرحاه، وحديثا لا تنساه. فقال عيينة قد علم اللّه أنه سيكون حديث لا تنساه. (انصرفوا بني فزارة فإنه كذاب) فانصرفوا، وانهزم الناس.

وكان طليحة قد أعد فرسه وراحلة لامرأته (النوار) فلما غشوه ركب فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها وقال:

(يا معشر فزارة من استطاع أن يفعـل هكـذا وينجـو بامرأته فليفعل) ثم انهزم فلحق بالشام ثم نـزل علـى كلـب وأسلم حين بلغه أن أسدا وغطفان قد أسلموا، ولم يزل مقيما في كلب حتى مات أبو بكر وكان قد خرج معتمـرا، ومـر بجنبات المدينة؛ فقيل لأبي بكر: هذا طليحة فقال: ماذا أصنع به قد أسلم؟

ولما أوقع اللّه بطليحة وفزارة ما أوقـع أقبـل أولئـك يقولون: ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن باللّه ورسوله ونسـلم لحكمه في أموالنا وأنفسنا. وقد بايع خالد من خضع وأسلم من القبائل، وهذا نص البيعة:

(عليكم عهد اللّه وميثاقه، لتؤمنن باللّه ورسوله، ولتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة وتبايعون على ذلك أبناءكم ونساءكم).

ولم يقبل من أحد من أسد، وغطفان، وطيء، وعامر إلا أن يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على الإسلام في حـال ردتهم فأتوا بهم فمثل بهم وحرقهم ورضخهم بالحجارة ورمى بهم من الجبال ونكسهم في الآبار وأرسل إلى أبي بكر يعلمه ما فعل وأرسل إليه قرة بن هبيرة ونفرا معه وزهيرا موثقين.

أم زمل بنت مالك بن حذيفة بن بدر فكانت قـد سـبيت أيام أمها أم قرفة [1] ، فوقعت لعائشة فأعتقتها ورجعت إلـى قومها وارتدت، واجتمع إليها الفل، فأمرتهم بالقتال، وكثـف جمعها، وعظمت شوكتها. فلما بلغ خالدا أمرها سـار إليهـا فاقتتلوا قتالا شديدا أول يوم وهي واقفة على جمل كان لأمها وهي في مثل عزها فاجتمع على الجمـل فـوارس فعقـروه وقتلوها، وقتل حول الجمل مائة رجل، وبعث خالد بالفتح إلى أبي بكر.

---

([1]) راجع أم قرفة في كتاب محمد رسـول اللّـه للمؤلـف ص ٣٠٧ و٣٠٨.

# أسر عيينة بن حصن

- كان خالد بن الوليد أسر عيينة بن حصن فقدم به إلى أبي بكر فكان صبيان المدينة يقولون له وهو مكتوف: يا عدو اللّه أكفرت بعد إيمانك؟ فيقول ما آمنت باللّه طرفة عين فتجاوز عنه أبو بكر وحقن دمه.

مثال من كلام طليحة

- وأخذ من أصحاب طليحة رجلا كان عالما به فسأله خالد عما كان يقول فقال: إن مما أتي به:

(والحمامِ واليمام، والصردِ والصوام [1]، قد صمن قبلكم بأعوام ليبلغن ملْكنا العراق والشام) ولم يبلغ ملك طليحة لا العراق ولا الشام بل هو الذي فر إلى الشام.

ويغلب على ظني أن خالدا لما سمع هذا السجع السخيف لم يتمالك من الضحك مع أن طليحة كان شاعراً.

---

([1]) الصرد وزان عمر: نوع من الغربان، ورجل صائم وصوام مبالغة.

# هزيمة بني تميم وقصة مالك بن نُويرة.

- بعد أن أخضع خالد بن الوليد القبائل التي تقطن التلال الواقعة شمالي المدينة سار لقتال بني تميم بهضبة عند الخليج الفارسي وهم قسمان: نصارى وعباد أصنام منتشرون فـي المراعي الواسعة بين اليمامة ومصب الفرات، وكـانوا قـد أسلموا في زمن النبي صلى اللّه عليه وسلم كسـائر القبائـل العربية وفرق فيهم عماله، فكان الزبرقان منهم وسهيل بـن منجاب وقيس بن عاصم وصفوان بن صفوان وسـبرة بـن عمر ووكيع بن مالك ومالك بن نويرة. ثم ارتـدوا ومنعـوا الزكاة بعد وفاة رسول اللّه ولما تولى أبـو بكـر الخلافـة وانتصر في أول موقعة له سار صفوان بن صفوان إلى أبي بكر بصدقات بني عمرو إلا أنه في هذه الأثناء تشاغلت تميم بعضها ببعض، وبينما هم كذلك جاءتهم سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية قد أقبلت من الجزيـرة وادعـت النبوة وكانت ورهطها في أخوالها من تغلـب تقـود ربيعـة ومعها الهذيل بن عمران في بني تغلب وكان نصرانيا فترك دينه وتبعها، كما أن سجاح كانت قد اعتنقت الديانة المسيحية قبل أن تتنبأ ومعها عقة بن هلال في النمر وزياد بن فـلان

في إياد والسليل بن قيس في شيبان، فأتاهم أمر أعظم مما هم فيه لاختلافهم.

وكانت سجاح تريد غزو المدينة، فأرسلت إلى مالك بن نويرة تطلب الموادعة فأجابها إلا أن قبائل تميم الأخرى أبوا اتباعها، وحاربوها في عدة مواقع فانهزمت هي ومالك، وبعد أن صالحتهم وبادلتهم الأسرى سارت في جنـود الجزيـرة قاصدة اليمامة وقالت:

(عليكم باليمامة ودفُّوا [1] دفيف الحمامة. فإنهـا غـزوة صرامة [2] لا يلحقكم بعدها ملامة).

وكانت سجاح تريد مهاجمة مسـيلمة، فقصـدت بنـي حنيفة. فبلغ ذلك مسيلمة فخاف إن هو شغل بهـا أن يغلـب ثمامة وشرحبيل بن حسنة والقبائل التي حولهم علـى حجـر وهي اليمامة فأهدى لهم ثم أرسل يستأمنها على نفسه حتـى يأتيها فجاءها في أربعين من بني حنيفة. فقال مسـيلمة: لنـا نصف الأرض وكان لقريش نصفها لو عدلت، وقد رد اللّـه عليك النصف الذي ردت قريش.

---

(1) دفوا: أسرعوا.

(2) صرامة: قاطعة.

واجتمع مسيلمة بسجاح وضرب لها قبة وتزوجها وصالحها على غلات اليمامة سنة تأخذ النصف وتترك النصف، فأخذت النصف وانصرفت إلى الجزيرة وخلفت الهذيل وعقبة وزيادا لأخذ النصف الباقي فلم يفاجئهم إلا دنو خالد إليهم فانفضوا، ويلاحظ أن سجاح لم تقم مع زوجها مسيلمة الذي آمنت به، بل تركته وعادت إلى الجزيرة.

أما مالك بن نويرة فإنه ندم على ما فعل لاتباعه سجاح وتحير في أمره وسار خالد بن الوليد بعد أن فرغ من فزارة وغطفان وأسد وطيء يريد البطاح، وبها مالك بن نويرة قد تردد عليه أمره. وتخلفت الأنصار عن خالد وقالوا ما هذا بعهد الخليفة إلينا إن نحن فرغنا من بزاخة أن نقيم حتى يكتب إلينا فتركهم خالد ومضى، وندمت الأنصار ولحقوه ثم سار حتى قدم البطاح فلم يجد فيها أحدا، وكان مالك بن نويرة قد فرقهم ونهاهم عن الاجتماع فلما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام وأن يأتوه بكل من لم يجب، وإن امتنع أن يقتلوه. فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر من بني ثعلبة بن يربوع. وكان فيهم أبو قتادة، فشهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا. وقال قوم إنهم لم يفعلوا ذلك. فلما

اختلفوا في أمرهم أمر خالد بن الوليد بحبسهم فحبسوا في ليلة باردة وأمر مناديا فنادى أدفئوا أسراكم، وهي في لغة كنانـة القتل فظن القوم أنه أراد القتل ولم يرد إلا الـدفء فقتلـوهم فقتل ضرار بن الأزور مالكا، وسمع خالد الداعية [1] فخـرج وقد فرغوا منهم فقال: (إذا أراد اللّه أمرا أصابه).

---

(1) الداعية: الصراخ.

# زواج خالد

- تزوج خالد أم تميم امرأة خالد بن نويرة. ولما وصـل الخبر إلى المدينة قال عمر لأبي بكر إن سيف خالد فيه رهق [1] وأكثرعليه في ذلك. فقال يا عمر: (تأول فأخطـأ فـارفع لسانك عن خالد فإني لا أشيم [2] سيفا سله اللّه على الكافرين) وودى مالكاً [3] ، وكتب إلى خالد أن يقدم عليه ففعل ودخـل المسجد وعليه قباء [4] وقد غرز في عمامته أسهما، فقام عمر فنزعها وحطمها، وقال له: قتلت امرأ مسلما ثم نزوت علـى امرأته [5] واللّه لأرجمنك بأحجارك وخالد لا يكلمه يظن أن رأي أبي بكر مثله، ودخل على أبي بكـر فـأخبره الخبـر واعتذر إليه فعذره، وتجاوز عنه وعنفه في التـزويج الـذي كانت عليه العرب من كراهته أيام الحرب فخرج خالد وعمر

---

([1]) الرهق: غشيان المحارم.

([2]) لا أشيم: لا أغمد سيفاً.

([3]) دفع ديته (المصحح).

([4]) قباء ثوب يلبس فوق الثياب، وقيل يلبس فوق القميص ويتمنطـق عليه ج أقبية.

([5]) نزا: وثب.

جالس. فقال: هلم إلي يا ابن أم شملة فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه. وقدم أخوه متمم بن نويرة على أبي بكر يطالب بدم أخيه ويسأله أن يرد عليهم سبيهم فأمر أبـو بكر برد السبي وودى مالكا من بيت المال. غيـر أن سـير ويليام موير يقول في كتابه (الخلافة) طبعة ١٩٢٤ صـفحة ٢٦ [١] إن أبا بكر أمر برد الأسرى لكنه رفض أن يدي مالكا من غير أن يشير إلى المصدر الذي استند إليه في الـرفض، وهذا يخالف ما جاء في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثيـر وأسد الغابة. فقد ورد في هذه المراجع أن أبا بكر أمر بـرد السبي وودى مالكا. وقد كانت زوجة مالك بن نـويرة غايـة الجمال. وكان خالد بن الوليد يحبهـا فقتـل زوجهـا مالكـا ليتزوجها مع أنه أقر بالإسلام. وقال مالك عندما أمر خالـد بقتله: (إن هذه التي قتلتني) يريد زوجته، وهذا الذي استوجب غضب عمر على خالد. وكان يريد أن يرجمه باعتباره زانيا.

وفي زواج خالد بزوجة مالك بن نميرة يقول أبو نميـر السعدي:

---

(١) Muir 'Sir William' - The Caliphate (٩٢٤) Page ٢٦

ألا أقل لحي أوطئوا بالسنابك تطاول هذا الليل من بعـد مالك

قضى خالد بغيا عليه بعرسه وكان هوى فيها قبل ذلك

فأمضى هواه خالد غير عاطف عنان الهوى عنهـا ولا متمالك

فأصبح ذا أهل وأصبح مالك إلى غير أهل هالكـا فـي الهوالك [1]، [2].

كان ممن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحـارث بـن ربعي أخو بني سلمة وقد كان عاهد اللّه أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حربا أبدا بعدها وكان يحدث أنهم لما غشوا القـوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح قال فقلنا إنا مسلمون. فقالوا ونحن مسلمون. قلنا فما بال السلاح معكم؟ قالوا فمـا بال السلاح معكم؟ قلنا فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح.

---

([1]) راجع تاريخ أبي الفداء.

([2]) نستبعد صحة هذه الرواية. وليس كل ما ورد من الروايـات فـي كتب التاريخ صحيحاً. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: اللّه اللّـه في أصحابي لا تتخذوهم هدفاً... أي اتقوا اللّه في أصحابي لا تؤذوهم. ونحن نميل إلى اختيار الروايات التي تنزه الصحابة جميعاً رضي اللّـه عنهم وغفر لهم. (المنقح).

قال فوضعوها ثم صلينا وصلوا. وكان خالد يعتذر في قتلـه أنه كان يقول كذا وكذا. قال أو ما تعده لك صاحبا؟ ثم قدمـه وضرب عنقه وعنق أصحابه.

## موقعة اليمامة آخر سنة ١١هـ وبدء سنة ٦٣٣ م.

- كان خالد بن الوليد يحارب المرتدين في اليمامة من أتباع مسيلمة. واليمامة موطن بني حنيفة في وسط شبه جزيرة العرب وفي اتجاه الشرق قليلا. الشرق منها يوالي البحرين وبني تميم، والغرب يوالي أطراف اليمن والحجاز والجنوب نجران، والشمال أرض نجد. وطول اليمامة عشرون مرحلة وهي على أربعة أيام من مكة. بلاد نخل وزرع.

بلغ عدد جيوش مسيلمة ٤٠,٠٠٠٠ مقاتل وهؤلاء هم الذين سار خالد لمحاربتهم.

كان مسيلمة رجلا صغير الجسم دميم الوجه له كفاءة تؤهله للزعامة. وكان قد قدم إلى النبي صلى اللّٰه عليه وسلم في وفد بني حنيفة واجتمع برسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ثم رجع إلى قومه وادعى أنه شريك رسول اللّٰه في النبوة، فاتبعه بنو حنيفة. وكتب مسيلمة إلى رسول اللّٰه يذكر أنه شريكه في النبوة وأرسل كتابا مع رسولين فسألهما رسول

اللّه عنه فصدقاه، فقال لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما. وكان كتاب مسيلمة:

(من مسيلمة رسول اللّه إلى محمد رسول اللّه. أما بعـد فإني أشركت معك في الأمر وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصفها ولكن قريش قوم يعتدون).

فكتب إليه رسول اللّه:

(بسم اللّه الرحمن الرحيم. من محمد رسول اللّـه إلـى مسيلمة الكذاب أما بعد فالسلام على من اتبـع الهـدى فـإن الأرض للّه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين).

فلما مات رسول اللّه وبعث أبـو بكـر السـرايا إلـى المرتدين أرسل عكرمة بن أبي جهل في عسكر إلى مسيلمة، وأتبعه شرحبيل بن حسنة فاستعجل وانهزم وأقـام شـرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر وكتب عكرمة إلـى أبـي بكـر بالخبر، فكتب إليه أبو بكر:

(لا أرينك ولا تراني. لا ترجعن فتوهن الناس، امـض إلى حذيفة وعرجفة فقاتل أهل عمان ومهرة ثم تسـير أنـت

وجندك لا تستبرئون الناس حتى تلقى بها مهاجر بن أبي أمية بااليمن وحضرموت)[1].

وكتب إلى شرحبيل بالمقام إلى أن يأتي خالد فإذا فرغوا من مسيلمة تلحق بعمرو بن العاص تعينه على قضاعة.

فلما رجع خالد من البطاح إلى أبي بكر واعتـذر إليـه فقبل عذره وأوعب معـه المهـاجرين والأنصـار، وعلـى الأنصار (ثابت بن قيس بن شماس) وعلى المهاجرين (أبـو حذيفة وزيد بن الخطاب) وأقام خالد بالبطاح ينتظر وصـول البعث إليه. فلما وصلوا إليه سار إلى اليمامة بجيشه لملاقـاة العدو.

ولما بلغ مسيلمة دنو خالد ضرب عسكره بعقربـاء[2] وخرج إليه الناس وخرج مجاعة بن مرارة في سرية يطلـب

---

([1]) المهاجر بن أبي أمية أخو أم سلمة زوج النبي صلى اللّـه عليـه وسلم. كان اسمه الوليد فسماه رسول اللّه المهاجر.

([2]) عقرباء: منزل من أرض اليمامة في طريق النبـاج قريـب مـن قرقرى من أعمال العِرض وهو لقوم من بني عامر بن ربيعـة وهـي التي خرج إليها مسليمة لما بلغه مسير خالد إلى اليمامة فنزل بها لأنها في طريق اليمامة ودون الأموال وجعل ريف اليمامـة وراء ظهـره. النباج بين البصرة واليمامة.

ثأرا لهم في بني عامر - فلم يكن يقصد قتـال المسـلمين - فأخذه المسلمون وأصحابه وقتلهم خالد واستبقاه لشـرفه فـي بني حنيفة وكانوا ما بين أربعين إلى ستين وتـرك مسـيلمة الأموال وراء ظهره.

وفي صباح اليوم التالي التقى الجيشان بسـهل عقربـاء وقال شرحبيل بن مسيلمة: (يا بني حنيفة قاتلوا فإن اليوم يوم الغيرة فإن انهزمتم تستردف النساء سبيات ويـنكحن غيـر خطيبات. فقاتلوا عن أحسابكم وامنعـوا نسـاءكم) فـاقتتلوا بعقرباء.

وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حنيفة.

وكانت مع عبد اللّه بن حفص بن غانم فقتل فقالوا لسالم (نخشى عليك من نفسك) فقال (بئس حامل القرآن أنا إذا).

وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس وكان أول من لقي المسلمين نَهار الرجال بن عنْفُوة [1] ، فقتله زيد بن الخطاب واشتد القتال ولم يلق المسلمون حربا مثلها قـط

---

([1] ) وقرقرى أرض يمر بها قاصد اليمامة من البصـرة فيهـا قـرى وزروع ونخيل كثيرة. والعِرض بكسر أوله وسكون ثانيه وادي اليمامة ويقال لكل واد فيه قرى ومياه عرض.

وانهزم المسلمون وخاص بنو حنيفة إلى مجاعة وإلى خالـد فزال خالد عن الفسطاط ودخلوا مجاعة وهو عند زوجة خالد يحرسها فأرادوا قتلها فنهاهم مجاعة عن قتلها وقال (أنا لهـا جار) فتركوها، وقال لهم (عليكم بالرجال) فقطعوا الفسـطاط وحاق الخطر بالمسلمين في هذه الساعة وأخذ بعضهم يحـث على القتال ويستفز الهمم. فقال ثابت بن قيس:

(بئس ما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين. اللّهم إنـي أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء - يعني أهل اليمامة - وأعتـذر إليك مما يصنع هؤلاء - يعني المسلمين ثم قاتل حتى قتل.

وقال زيد بن الخطاب:

(لا تحوز بعد الرجال. واللّه لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم، أو أقتل فأكلمه بحجتي. غضوا أبصـاركم. وعضـوا علـى أضراسكم أيها الناس واضربوا في عدوكم وامضوا قدما).

وقال أبو حذيفة:

(يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال).

وقد كانت لهذه الكلمات الحماسية أثرها فـي النفـوس فحمل خالد في الناس حتى ردهم إلى أبعد مما كانوا واشـتد القتال وقاتل العدو قتال المستميت. وكانت الحرب يومئذ تارة

للمسلمين، وتارة ابني حنيفة. وقتل سالم وأبو حذيفة وزيد بن الخطاب وغيرهم من كبار المسلمين.

ولما رأى خالد ما الناس فيه واختلاط جيشـه، أراد أن يميزهم لتدب فيهم روح الغيرة فقال:

(امتازوا أيها الناس لنعلم بلاء كل حي ولنعلم من أيـن نؤتى).

وكان أهل البوادي قد جنبـوا المهـاجرين والأنصـار، وجنبهم المهاجرين والأنصار. فلما امتـازوا قـال بعضـهم لبعض (اليوم يستحى من الفرار) فما رئي يوم أعظم نكايـة، غير أن القتل كان في المهاجرين والأنصار وأهل القرى أكثر منه في البوادي.

وثبت مسيلمة فدارت رحاهم عليـه، وأدرك خالـد أن الحالة لا تهدأ إلا إذا قتل مسيلمة فحمل علـيهم ودعـا إلـى البراز ونادى بشعار المسلمين يومئذ وكان (يا محمداه) فلـم يبرز إليه أحد إلا قتله، وحمل على مسيلمة ففر وفر أصحابه، وصاح خالد في الناس فهجموا عليهم فكانت الهزيمة، ونادى المحكم بن الطفيل وهو أحد قواد بني حنيفة المشهورين (يـا

بني حنيفة الحديقة. الحديقة [1] ثم رماه عبد الرحمن بن أبـي بكر الصديق بسهم فوضعه في نحره فقتله. وكان ممن دخـل الحديقة مسيلمة. وقال البراء بن مالك (يا معشـر المسـلمين ألقوني عليهم في الحديقة) فتردد المسلمون خوفا عليـه. ثـم احتملوه فألقوه. فلما أشرف على الحديقة من الجـدار اقـتحم فقاتلهم عن باب الحديقة التي كانـت مغلقـة حتـى فتحهـا للمسلمين فاندفع المسلمون إليها كالسيل الجارف، فأغلق الباب عليهم بعد دخولهم جميعا، ورمى بالمفتاح من وراء الجـدار حتى لا يتمكن أحد من الخروج فاقتتلوا قتالا شـديدا وقتـل مسيلمة. قتله وحشي مولى جبير بـن مطعـم ورجـل مـن الأنصار كلاهما قد أصابه. ووحشي هذا هو قاتل حمزة كما تقدم في السيرة النبوية. فولت بنو حنيفة عند قتلـه منهزمـة وأخذهم السيف من كل جانب حتى قتلوا عن آخرهم وأخبـر

(١) نهار الرجال بن عنفوة كان قد هاجر إلى النبي صلى اللّـه عليـه وسلم وفقه في الدين فبعثه معلماً لأهل اليمامة وليشغب على مسـيلمة. وليشدد من أمر المسلمين فكان أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة. شهد له أنه سمع رسول اللّه يقول: أنـه قـد أشـرك معـه فصـدقوه واستجابوا له.

خالد بقتل مسيلمة فخرج بمجاعة يرسف في الحديد ليدله على مسيلمة وأخذ يكشف له عن جثث القتلى حتى عثر عليه. فقال مجاعة لخالد (ما جاءك إلا سرعان الناس [1] وإن جماهير الناس لفي الحصون). فقال ويلك ما تقول؟ قال هو واللّه الحق فهلم لأصالحك عن قومي، وكان خالد نهكته الحرب وأصيب معه من أشراف الناس من أصيب فقد رق وأحب الدعة والصلح. ثم قال مجاعة: (أنطلق إليهم فأشاورهم وننظر في هذا الأمر فأرجع إليك) فانطلق ودخل الحصون، وليس فيها إلا النساء والصبيان، ومشيخة فانية ورجال ضعفى فظاهر الحديد على النساء وأمرهن أن ينشرن شعورهن وأن يشرفن على رؤوس الحصون حتى يرجع إليهم ثم رجع فأتى فقال: قد أبوا ما صالحتك عليه وقد أشرف لك بعضهم نقضا علي وهم مني براء - فنظر خالد إلى رؤوس الحصون وقد اسودت - ولكن إن شئت صنعت شيئا فعزمت على القوم. قال ما هو؟ قال تأخذ مني ربع السبي وتدع ربعا. فقال قد فعلت. قال: قد صالحتك.فلما فرغ فتحت

---

([1] ) الحديقة هي بستان في أرض اليمامة لمسيلمة مسور بحائط قوي كانوا يسمونه "حديقة الرحمن" فسموه "حديقة الموت".

الحصون فإذا ليس فيها إلا النساء والصبيان والشيوخ فقـال خالد لمجاعة: ويحك خدعتني. قال: قومي ولم أستطع إلا ما صنعت.

وقيل صالحه خالد على الذهب والفضة والسلاح ونصف السبي ولما عرض هذا الصلح عارض قوم من بني حنيفـة، ومنهم سلمة بن عمير الحنفي فإنه أبى إلا الحرب وتجنيد أهل القرى والعبيد غير أن مجاعة أصر على الصلح وكتب خالد كتاب الصلح وهذا نصه:

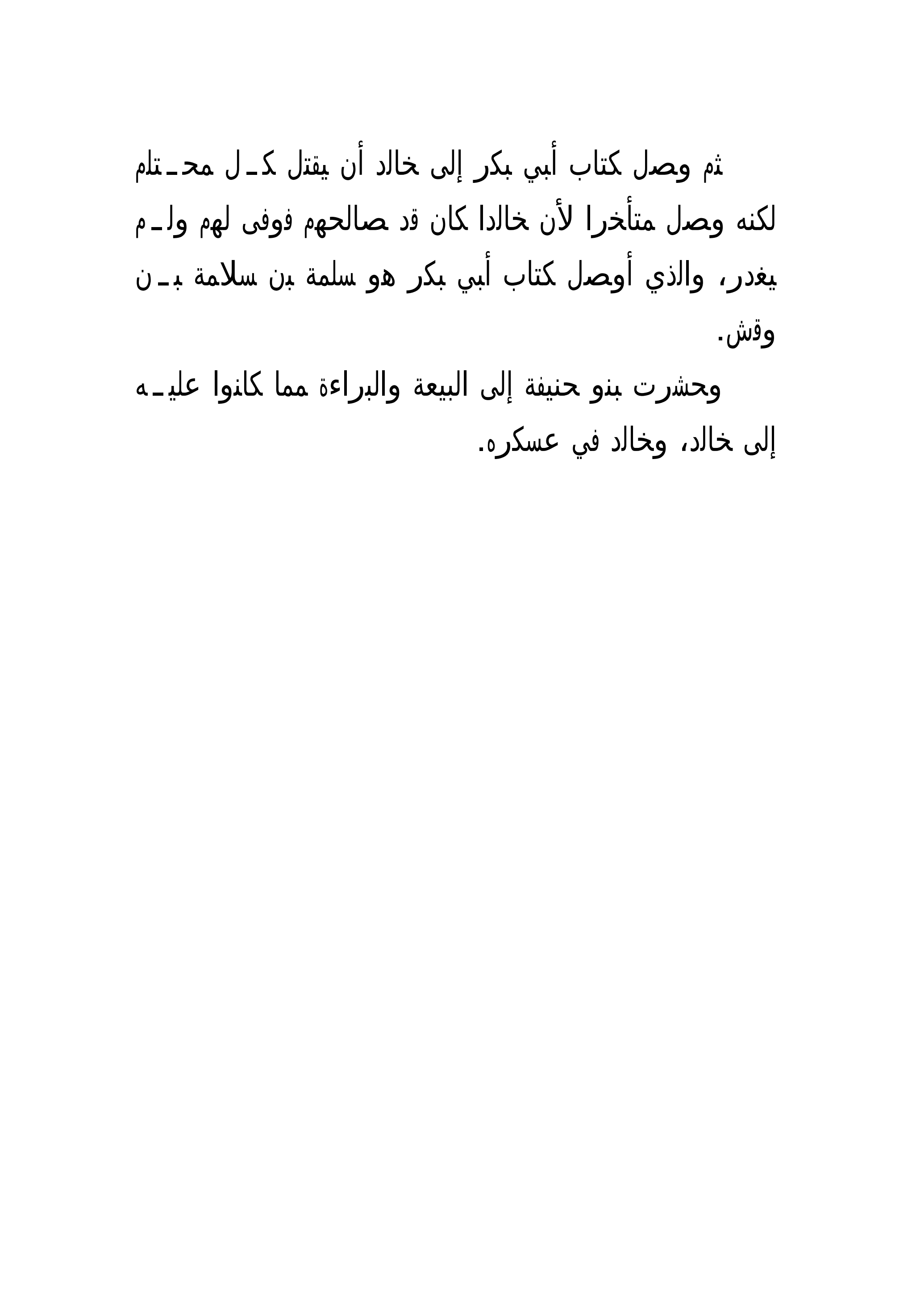
(هذا ما قاضى عليه خالد بن الوليد مجاعة بن مـرارة وسلمة بن عمير وفلانا وفلانا: قاضـاهم علـى الصـفراء، والبيضاء [1] ونصف السبي والحلقة [2] والكراع [3] وحـائط من كل قرية ومزرعة على أن يسلموا ثم أنتم آمنون بأمـان اللّه ولكم ذمة خالد بن الوليد، وذمة أبي بكر خليفـة رسـول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وذمم المسلمين على الوفاء).

---

([1]) سرعان الناس: أوائلهم.

([2]) الذهب والفضة.

([3]) السلاح.



ثم وصل كتاب أبي بكر إلى خالد أن يقتل كـل محـتلم لكنه وصل متأخرا لأن خالدا كان قد صالحهم فوفى لهم ولـم يغدر، والذي أوصل كتاب أبي بكر هو سلمة بن سلامة بـن وقش.

وحشرت بنو حنيفة إلى البيعة والبراءة مما كانوا عليـه إلى خالد، وخالد في عسكره.

# محاولة اغتيال خالد

- لما اجتمعت بنو حنيفة للبيعة، قال سلمة بـن عميـر لمجاعة استأذن لي على خالد أكلمه في حاجـة لـه عنـدي ونصيحة، وقد أراد أن يفتك به فأذن له. فأقبل سلمة بن عمير مشتملا على السيف يريد ما يريد. فقال خالد: من هذا المقبل؟ قال مجاعة: هذا الذي كلمتك فيه وقد أذنت له. قال: أخرجوه عني. فأخرجوه عنه ففتشوه فوجدوا معـه السـيف فلعنـوه وشتموه وأوثقوه وقالوا: لقد أردت أن تهلك قومك، وايم اللّـه ما أردت إلا تستأصل بنو حنيفة، وتسبى الذرية والنساء، وايم اللّه لو أن خالدا علم أنك حملت السلاح لقتلك وما نأمنـه إن بلغه أن يقتل الرجال ويسبي النساء بما فعلت فأوثقوه وجعلوه في الحصن وتتابع بنو حنيفة على البراء مما كـانوا عليـه وعلى الإسلام.و عاهدهم سلمة علـى أن لا يحـدث حـدثا ويتركوه فأبوا ولم يثقوا بحمقه أن يقبلوا منه عهدا. فأفلت ليلا فعمد إلى عسكر خالد فصاح به الحرس وفزعت بنو حنيفـة فأتبعوه فأدركوه في بعض الحوائط، فشد علـيهم بالسـيف،

فاكتنفوه بالحجارة، وأجال السيف على حلقه فقطـع أوداجـه [1].

---

([1]) الودج بفتح الدال والكسر لغة: عرق الأخدع الـذي يقطعـه الذابح فلا يبقى معه حياة. والودجان عرقان غليظان يكتنفان ثغرة النحر يميناً ويساراً والجمع أوداج مثل سبب وأسباب.

# زواج خالد للمرة الثانية

- تقدم عند ذكر قصة مالك بن نويرة أن خالد بن الوليد تزوج أم تميم امرأة مالك بعد قتله، وأن أبا بكر لما استدعاه إليه عنفه على ذلك لكنه في هذه المرة أراد أن يتزوج أيضا بابنة مجاعة فعرض عليه ذلك. فقال له مجاعة: (مهلا إنك قاطع ظهري، وظهرك معي عند صاحبك) قال: أيها الرجل زوجني فزوجه. فبلغ ذلك أبا بكر فكتب إليه كتابا شديد اللّهجة وهذا ما جاء فيه:

(لعمري يا ابن أم خال إنك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجف بعد).

فلما نظر خالد في الكتاب جعل يقول: (هذا عمل الأعيسر يعني عمر بن الخطاب [1] .

ثم ذهب وفد من بني حنيفة إلى أبي بكر وقص عليه ما كان من أمر مسيلمة، وسألهم عن بعض أسجاع مسيلمة فقالوا له شيئا منها فقال (ويحكم إن هذا الكلام ما خرج إلا من إلّ ولا بِر فأين يذهب بكم)؟

---

([1]) راجع تعليقنا على زواج سيدنا خالد ص ٥٦ (المنقح).

خسائر بني حنيفة: قتل بعقرباء ٧٠٠٠، وبالحديقة نحو ٧٠٠٠، وفي الطلب نحو منها، وكانت موقعة عقرباء أعظم مواقع أهل الردة.

خسائر المسلمين: قتل من المهاجرين والأنصار من المدينة ٣٦٠ ومن المهاجرين من غير المدينة ٣٠٠ أو يزيدون عدا الجرحى.

# أسماء من قتل باليمامة من مشهوري الصحابة

١. أبو حبة بن غزية الأنصاري.
٢. أبو دجانة الأنصاري.
٣. أبو عقيل البلوي.
٤. أبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي.جنادة بن عبد اللّه المطلبي القرشي.
٥. زرارة بن قيس الأنصاري.
٦. السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي.
٧. السائب بن العوام أخو الزبير لأبويه سعد بن جماز الأنصاري.
٨. سعد بن جماز الأنصاري.
٩. سلمة بن مسعود بن سنان الأنصاري.
١٠. شجاع بن وهب الأسدي.
١١. صفوان بن عمرو.
١٢. ضرار بن الأزور الأسدي.

١٣. الطفيل بن عمرو الدوسي.
١٤. عامر بن ثابت بن سلمة الأنصاري.
١٥. عائذ بن ماعص الأنصاري.
١٦. عباد بن بشر الأنصاري.
١٧. عباد بن الحارث الأنصاري.
١٨. عبد اللّه بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي.
١٩. عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبي سلول.
٢٠. عبد اللّه بن عتيك الأنصاري.
٢١. عبد اللّه بن مخرمة بن عبد العزى العامري.
٢٢. علي بن عبيد اللّه بن الحارث.
٢٣. عمارة بن حزم الأنصاري.
٢٤. عمير بن أوس بن عتيك الأنصاري.
٢٥. فروة بن النعمان.
٢٦. قيس بن الحارث بن عدي الأنصاري.
٢٧. مالك بن أمية السلمي.
٢٨. مالك بن عمرو السلمي.
٢٩. مالك بن أوس بن عتيك الأنصاري.
٣٠. مسعود بن سنان الأسود.

٣١. معن بن عدي بن الجد البلوي.
٣٢. النعمان بن عصر بن الربيع البلوي.
٣٣. هريم بن عبد اللّه المطلبي القرشي.
٣٤. ورقة بن إياس بن عمرو الأنصاري.
٣٥. الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومي ابن عم خالد.
٣٦. يزيد بن أوس.
٣٧. يزيد بن ثابت أخو زيد بن ثابت.

# أسجاع مسيلمة

- كان مسيلمة يصانع قومه ويلاطفهم مع ادعائه النبـوة ليلتفت قومه حوله وليكثر أتباعه وأنصاره، وقد ساعده علـى ذلك نهار الرجال بن عنفوة الذي كان قد هاجر إلـى النبـي صلى اللّه عليه وسلم وقرأ القرآن وفقه في الدين وبعثه معلما لأهل اليمامة وليشغب على مسيلمة، لكنه ما لبث أن انضـم إلى مسيلمة وصدقه في الظاهر. لذلك قيل إنه كان أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة، وهو الذي شهد أن محمدا صلى اللّه عليه وسلم شهد لمسيلمة أنه رسول اللّـه. وقـد اتفـق المؤرخون على أن مسيلمة ادعى النبوة قبل وفاة رسول اللّه [١]، غير أن الأستاذ مرجوليث يزعم أنه تنبأ قبـل مبعـث رسول اللّه، وهذا من الغرابة بمكان وليس في التـاريخ مـا يؤيد زعمه. فما الذي ألجأه إلى ذلك؟ إن السبب الذي دعـاه إلى ذلك هو نفس السبب الذي دفعه إلى الاعتراض والطعـن في السيرة النبوية لتشويهها، إنه يريد أن يفهـم القـارئ أن رسول اللّه هو الذي قلد مسيلمة وحذا حذوه، فادعى النبـوة،

---

(١) راجـع دائـرة المعـارف الإسـلامية "مسـليمة". The Musilam Enyclopaebis of Islam.

وهو يعلم حق العلم أن مسيلمة كذاب، وأنه مقلد طـامع فـي الملك، ولهذا قدم إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم في وفد بني حنيفة وسأله أن يشركه معه في النبـوة فـأبى وحـاول أن يضاهي القرآن تغريرا بعقول السذج من قومه فجاء كلامـه سخيفا.

وإنا بعد ذلك نورد من أسجاعه ما عثرنا عليـه ليتبـين القارئ هذا المتنبئ ومبلغ علمه.

- ١ - والليل الدامس. والذئب الهامس [1]. ما قطعت أسـيد من رطب ولا يابس.
- ٢ - والليل الأطحم [2] : والذئب الأدلم [3] والجذع الأزلم [4] . ما انتهكت أسيد من محرم.
- ٣ - إن بني تميم قوم طهر لقاح لا مكروه عليهم ولا إتاوة. نجاورهم ما حيينا بإحسان. نمنعهم من كل إنسان. فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن.

---

(١) الشديد.

(٢) الأسود.

(٣) الأدلم: الأسود الطويل.

(٤) الجذع الأزلم: الدهر.

٤ - والشاء وألوانها. وأعجبها السود وألبانها. والشاة السوداء واللبن الأبيض، إنه لعجب محض. وقد حرم المذق فما لكم لا تمجعون.

٥ - يا ضفدع ابنة ضفدعين. نقي ما تنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين. لا الشارب تمنعين. ولا الماء تكدرين.

٦ - والبذرات زرعا. والحاصدات حصدا. والذاريات قمحا. والطاحنات طحنا. والخابزات خبزا. والثاردات ثردا. واللاقمات لقما. إهالة وسمنا. لقد فضلتم على أهل الوبر. وم سبقكم أهل المدر. ريفكم فامنعوه. والباغي فناوئوه.

# أعمال مسيلمة المشؤومة

- لما ادعى مسيلمة النبوة لم يكتف قومه بسماع أسجاعه لتصديقه فيما يدعي ولا سيما أنه كان يبلغهم معجزات النبـي التي بهرت ألباب العرب، فكانوا يأتون إليه ملتمسـين منـه المعونة عند الحاجة وليروا قدرته علـى إتيـان المعجـزات كجميع الأنبياء، فكان يرى نفسه مضطرا إلى إجابة مطالبهم وإلا كذبوه وسخروا منه وانصرفوا من حولـه، فحـاول أن يظهر لهم بعض أعماله بيد أنه لم يوفق في واحد منها، ويـا ليته لم يوفق فقط، بل كانتتأتي أعمال بعكس المقصود. وهذا خذلان وخزي من اللّه تعالى ليتجلى للخلق كذبه وشؤمه على من أتباعه.

أتته امرأة فقالت: إن نخلنا لسحق [١] وإن آبارنا لجـرز [٢] فادع اللّه لمائنا ونخلنا كما دعا محمد صلى اللّه عليه وسلم لأهل هزمان، فسأل نهارا عن ذلك فذكر أن النبي صلى اللّه

---

(١) طويلة.

(٢) انقطع الماء عنها فهي يابسة.

عليه وسلم دعا لهم وأخذ من ماء آبارهم فتمضمض منه ومجه في الآبار ففاضت ماء وأنجبت كل نخلة وأطلعت فسيلا قصيرا مكمما، ففعل مسيلمة مثله فغار ماء الآبار ويبس النخل والعياذ بالله.

وقال له نهار: أمرر يدك على أولاد بني حنيفة مثل محمد، ففعل وأمر يده على رؤوسهم وحنكهم [1]، فقرع كل صبي مسح رأسه، ولثغ [2] كل صبي حنكه.

وجاء أبو طلحة النمري فسأله عن حاله فأخبره أنه يأتيه رجل في ظلمة فقال: (أشهد أنك الكذاب وأن محمدا صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر) فقتل معه يوم عقرباء كافرا.

وقالوا لمسيلمة تتبع حيطانهم كما كان محمد يصنع فصل بها. فدخل حائطا من حوائط اليمامة فتوضأ، فقال نهار لصاحب الحائط: ما يمنعك من وضوء الرحمن فتسقي به حائطك حتى يروى ويبتل كما صنع بنو المهرية - أهل بيت من بني حنيفة - وكان رجل من المهرية قدم على النبي

---

(1) حنكت الصبي تحنيكاً: مضغت تمراً أو نحوه ودلكت به حنكه.

(2) ثقل لسانه بالكلام.

صلى اللّه عليه وسلم فأخذ وضوءه فنقله إلى اليمامة فأفرغه في بئره ثم نزع وسقى وكانت أرضه تهوما فرويت وجزأت فلم تلف إلا خضراء مهتزة، ففعل الرجل فعادت يبابا لا ينبت مرعاها.

وأتاه رجل فقال: ادع اللّه لأرضي فإنها مسبخة كما دعا محمد لسلمى على أرضه، فقال ما يقول يا نهار، فقال قـدم عليه سلمى وكانت أرضه سبخة فدعا له وأعطاه سجلا مـن ماء [1] ومج له فيه [2] فأفرغه في بئره ثـم نـزع فطابـت وعذبت ففعل ذلك، فانطلق الرجل ففعل بالسجل كمـا فعـل سلمى فغرقت أرضه فما جف ثراها ولا أدرك ثمرها. وأتته امرأة فاستجلبته إلى نخل لها يدعو لها فيها فجذت كبائسها [3] يوم عقرباء كلها.

هذه بعض أعمال مسيلمة المشـئومة التـي أراد اللّـه سبحانه وتعالى أن يفضحه بها، وقد أشرنا إلـى أن مسـتر

---

([1]) السجل: الدلو العظيمة.

([2]) مج الرجل الماء من فيه: رمى به.

([3]) الكبائس جمع الكباسة وهي عنقود النخل والمراد قطعـت عناقيـد نخلها.

مرجوليث زعم أن مسيلمة ادعى النبوة قبل النبي صلى اللّـه عليه وسلم، لكن هناك ما يثبت عكس زعمه، فإنه حول تقليد الإسلام فأخفق، فمن ذلك أن عبد اللّه بن النواحة كان يـؤذن له، وكان الذي يقيم له حجير بن عمير فيزيـد فـي صـوته ويبالغ [1] لتصديق نفسه وتصديق نهار وتضليل من كان قـد أسلم.

(١) عند قوله: أشهد أن مسيلمة رسول اللّه.

# ردة أهل البحرين[1]

# سنة ١١هـ (٦٣٢ - ٦٣٣ م)

- بينما كان خالد بن الوليد يواصل انتصاراته من شمال شبه الجزيرة العربية إلى وسطها كانت الجيوش التي أرسلها أبو بكر تحارب القبائل المرتدة والثائرة في الجهات الأخرى. وكان المنذر بن ساوى العبدي عاملا على البحرين في زمن رسول اللّه غير أنه مرض فمات بعد النبي صلى اللّه عليـه وسلم بقليل فارتد بعده أهل البحرين وارتدت بكر.

وكان الجارود بن المعلى قدم على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في وفد عبد قيس سـنة عشـر، فأسـلم وكـان نصرانيا، ففرح النبي صلى اللّه عليه وسلم بإسلامه فأكرمـه وقربه. وبعد أن تفقه في الدين رده إلى قومه عبد القـيس [2]

---

(١) البحرين: اسم جامع لبلاد على ساحل الخليج الفارسي بين البصرة وعمان واليمامة في وسط الطريق بين مكة والبحرين.

(٢) يكنى الجارود أبا المنذر، وقيل اسمه بشر وإنما لقب الجارود لأنـه أغار في الجاهلية على بكر وائل فأصابهم وجردهم.

فلما توفي رسول اللّه بلغه أنهم قالوا (لو كان محمد نبيا لـم يمت) فجمعهم وقال لهم:

(أتعلمون أنه كان للّه أنبياء فيما مضى؟ قالوا نعم. قـال فما فعلوا؟ قالوا ماتوا. قال فإن محمدا صلى اللّه عليه وسـلم قد مات كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمـدا رسول اللّه). فأسلموا وثبتوا على إسلامهم.

وكان أبو بكر بعث العلاء بن الحضرمي على قتال أهل الردة بالبحرين، فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثمامـة بـن أثال الحنفي في مسلمة بني حنيفة، ولحق به أيضا قيس بـن عاصم المنقري، وانضم إليه عمرو والأبناء، وسعد بن تميم، والرباب لحقته في مثل عدته فسلك بهم الدهناء [1] حتى كانوا في بحبوحتها نزل وأمر الناس بالنزول في الليل فنفرت إبلهم بأحمالها فما بقي عندهم بعير ولا زاد ولا ماء، فلحقهم مـن الغم ما لا يعلمه إلا اللّه ووصى بعضـهم بعضـا، فـدعاهم العلاء فاجتمعوا إليه فقال: (ما هذا الذي غلب علـيكم مـن الغم؟).

---

[1] ) أرض من ديار بني تميم فيها سبعة جبال من الرمل الأحمر.

فقالوا: (كيف ننام ونحن إن بلغنا غدا لم تحم الشـمس حتى نهلك)؟.

فقال: (لن تراعوا أنتم المسلمون وفي سبيل اللّه وأنصار اللّه فأبشروا فواللّه لن تخذلوا).

# كرامة العلاء بن الحضرمي

- كان العلاء بن الحضرمي مجاب الدعوة فلما صلى الجيش صلاة الصبح جثا العلاء لركبتيه وجثا الناس فنصب في الدعاء ونصبوا معه، فلمع لهم سراب الشمس فالتفت إلى الصف. فقال رائد ينظر ما هذا، ففعل ثم رجع فقال (سراب) فأقبل على الدعاء ثم لمع لهم آخر فكذلك، ثم لمع لهم آخر. فقال (ماء) فقام وقام الناس فمشوا إليه حتى نزلوا إليه، فشربوا واغتسلوا، فما ارتفع النهار حتى أقبلت الإبل من كل وجه فأناخت وشربت، ولم يكن بهذا المكان غدير ولا ماء قبل اليوم، ثم ساروا فنزلوا بهجر[1] ، وأرسل العلاء إلى الجارود يأمره أن ينزل بعبد القيس على الحطم مما يليه، وسار هو فيمن معه حتى نزل عليه فيما يلى هجر.

تجمع المشركون كلهم إلى الحطم بن ربيعة إلا أهل دارين [2] وتجمع المسلمون كلهم إلى العلاء بن الحضرمي.

---

(1) هجر: مدينة وهي قاعدة البحرين.

(2) دارين: فرضة بالبحرين.

# حرب الخنادق

- كان كل فريق متخوفا من الآخر فخنـدق المسـلمون والمشركون ولبثوا يتراوحون القتال ويراجعون إلى خنادقهم شهرا.

## جيش العدو يلهو ويسكر

- طال مكث الجيشين في الخندق، ففي ذات ليلة سـمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شـديدة، فأرسـل العلاء عبد اللّه بن حذف ليأتيهم بخبر القوم، فعاد وأخبـرهم أن القوم سكارى، فخرج المسلمون عليهم، واقتحموا الخندق، ووضعوا السيوف فيهم، واستولى المسلمون علـى مـا فـي العسكر، وقتل الحطم، قتله قيس بن قيس بن عاصم بعـد أن قطع عفيف بن المنذر التيمي ساقه، وقسم العلاء الأنفال ونفل رجالا من أهل البلاء ثيابا. فأعطى ثمامة بن أثـال الحنفـي خميصة ذات أعلام كانت للحطم يباهي بها وهي التي كانـت سببا في قتله [1] .

---

([1]) أي في قتل ثمامة بعد ذلك.

# المسير إلى دارين وكرامة أخرى للعلاء

- ثم قصد معظم الجيش إلى دارين وهي فرضة بالبحرين، وإن ما بين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة لسفر البحر في بعض الحالات. فركبوا إليها السفن ولحق باقي الجيش ببلاد قومهم، فكتب العلاء إلى من ثبت على إسلامه من بكر وائل يأمرهم بالقعود للمنهزمين والمرتدين بكل طريق ففعلوا، وجاءت رسلهم إلى العلاء بذلك فأمر أن يؤتى من وراء ظهره فندب الناس إلى دارين وقال لهم:

(قد أراكم الله من آياته في البر لتعتبروا بها في البحر فانهضوا إلى عدوكم واستعرضوا البحر).

وبعد ذلك ارتحلوا واقتحموا البحر على الخيل والإبل وغير ذلك وفيهم الماشي على قدميه ودعا ودعوا وهذا دعاؤهم:

(يا أرحم الراحمين، يا كريم يا حليم يا أحد يا صمد يا حي يا محيي الموتى يا حي يا قيوم. لا إله إلا أنت يا ربنا).

فاجتازوا ذلك الخليج بإذن الله يمشون على رمل فوقه ماء يغمر أخفاف الإبل.

انتصار المسلمين وهزيمة المشركين

- التقى المسلمون والمشركون واقتتلـوا قتـالا شـديدا فانتصر المشركون وانهزم المشركون. وأكثر المسلمون القتل فيهم وغنموا وسبوا فبلغ نفل الفارس سـتة آلاف والراجـل ألفين، وقال في ذلك عفيف بن المنذر:

ألم تر أن اللّه ذلل بحره وأنزل بالكفار إحدى الجلائل

دعونا الذي شق البحار فجاءنا بأعجب من فلق البحـار الأوائل

وجاء في أسد الغابة أن العلاء بن الحضرمي هو مـن حضرموت حليف حرب بن أمية وقد خاض البحر بكلمـات قالها ودعا بها.

## إسلام راهب

- كان مع المسلمين راهب من أهل هجر فأسلم، فقيـل له: ما حملك على الإسلام؟ قال: ثلاثـة أشـياء خشـيت أن يمسخني اللّه بعدها [1] .

- ١- فيض في الرمال.

---

([1]) أي إذا لم يسلم.

- ٢- تمهيد أثباج البحر (أي أعليه أو معظمه).

- ٣- دعاء سمعته في عسكرهم في الهواء سحرا:

(اللّهم أنت الرحمن الرحيم لا إله غيرك، والبديع فليس قبلك شئ، والدائم غير الغافل، الحي الذي لا يموت، وخالق ما يرى وما لا يرى، وكل يوم أنت في شأن علمت كل شئ بغير تعلم).

فعلمت أن القوم لم يعاونوا بالملائكة إلا وهم على حق، فكان أصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم يسمعون هذا منه بعد، ولم يرو لنا التاريخ اسم هذا الراهب الذي أسلم.

## كتاب العلاء لأبي بكر

- كتب العلاء إلى أبي بكر بهزيمة أهل الخندق وقتل الحطم وهذا نص الكتاب:

(أما بعد فإن اللّٰه تبارك اسمه سلب عدونا عقولهم وأذهب ريحهم بشراب أصابوه من النهار، فاقتحمنا عليهم خندقهم فوجدناهم سكارى فقتلناهم إلا الشريد وقد قتل الحطم).

فكتب إليه أبو بكر: (أما بعد فإن بلغك عن بني شيبان بن ثعلبة تمام على ما بلغك وخاض فيه المرجفون فابعث إليهم جندا فأوطئهم وشرد بهم من خلفهم فلم يجتمعوا ولم يصر ذلك من إرجافهم إلى شيء).

## ردة أهل عمان ومهرة

- عمان اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع إلا أن حرها يضرب به المثل. قال الزجاجي سميت عمان بعمان بن إبراهيم الخليل، وعمان أرض جبلية يكتنفها الجبل الأخضر

وسلسلة جبال أخرى صغيرة بالقرب مـن سـاحل البحـر، وعاصمتها الآن مسقط على الخليج الفارسي.

ومهرة. قال صاحب معجم البلدان بالفتح والسكون هكذا يرويه عامة الناس، والصحيح مهرة بالتحريك وجدته بخطوط جماعة من أئمة العلم القدماء لا يختلفون فيه، هذا مـا أثبتـه ياقوت في معجمه، غير أن دائرة المعارف الإسلامية كتبتهـا بالكون هكذا Mahra وكتاب القـرون الوسـطى لجامعـة كامبردج الجزء الثاني وكان الواجب أن تصـحح بالتحريـك Mahara. كذلك وقع في نفس هذا الخطأ مستر موير فـي كتاب الخلافة. وتقع مهرة في الجنوب الشـرقي مـن شـبه جزيرة العرب على المحيط الهندي بين حضرموت وعمان.

نبغ بعمان ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي، وكان يسامى في الجاهلية الجلندي، وادعى النبوة، وغلـب علـى عمـان مرتدا، والتجأ جيفر بن الجلندي رئيس أهل عمان وعباد إلى الجبل والبحر، ثم بعث جيفر إلى أبي بكر يطلب منه النجدة، فأرسل إليه حذيفة بن محصن الغلفاني من حمير [1]، وأرسل

---

[1] في أسد الغابة حذيفة القلعاني والصواب ما ذكرنا كما جـاء فـي تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير.

عرفجة البارقي من الأزد إلى مهرة، فإذا قربا من عمان كاتبا جيفرا، فمضيا إلى ما أمرا به، وكان أبو بكر بعث عكرمـة إلى مسيلمة باليمامة، واتبعه شرحبيل بن حسنة وأمرهما بما أمر به حذيفة وعرفجة، فإذا فرغا منه سـارا إلـى الـيمن فلحقهما عكرمة قبل عمان، فلما وصلوا رجاما [1]وهي قريب من عمان كاتبوا جيفرا وعبادا، وبلغ لقيطـا مجـئ الجـيش فجمع جموعه وعسكر بدبا وخرج جيفر وعباد من موضعهما الذي كانا فيه فعسكرا بصحار [2] وأرسلا إلى حذيفة وعكرمة وعرفجة فقدموا عليهما، وكاتبوا رؤساء مع لقيط وانفضـوا عنه ثم التقوا على دبا [3] فاقتتلوا قتالا شديدا كانت الغلبة فيه للقيط، ورأى المسلمون الخلل والمشركون الظفر، وبينما هـم كذلك جاءت المسلمين النجدات من بنـي ناجيـة، وعلـيهم الخريت بن راشد، ومن عبد القيس وعلـيهم سـيحان بـن

---

([1]) جبل طويل أحمر وهو الذي نزل به جيش أبي بكر يريدون عمان أيام الردة ويوم الرجام من أيامهم.

([2]) قال ياقوت: هي قصبة عمان مما يلي الجبل وتوأم قصبتها ممـا يلي الساحل، وهي مدينة طيبة الهواء كثيرة الخيـرات والفواكـه مبنية بالآجر والساج كبيرة ليس في تلك النواحي مثلها.

([3]) دبا: سوق من أسواق العرب بعمان.

صوحان وغيرهم، فقوى الله المسلمين فولى المشركون الأدبار وقتل منهم في المعركة نحو (١٠,٠٠٠) وسبوا الذراري وقسموا الأموال وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر مع عرفجة وكان الخمس ٨٠٠ رأس، وبقي حذيفة يسكن الناس ويحفظ النظام.

أما مهرة فإن عكرمة بن أبي جهل سار إليهم بعد أن فرغ من عمان ومعه جيوش من ناجية، وعبد القيس، وراسب، وسعد، فاقتحم بلادهم فوجد جمعين من مهرة، أحدهما مع رجل منهم يقال له شخريت والآخر مع مصبح أحد بني محارب، ومعظم الناس معه غير أنهما كانا مختلفين، فكاتب عكرمة شخريتا قبل أن يحاربه، فأجابه وأسلم وانضم 'ليه ثم كاتب المصبح الذي كان معه معظم الناس فلم يجب اغترارا بكثرة جيشه فسار إليه مع شخريت وحاربه فانهزم المرتدون وقتل رئيسهم، وأصاب المسلمون كثيرا من الغنائم، ومما أصابوا (٢٠٠٠) نجيبة وأرسل عكرمة خمس الغنائم إلى أبي بكر مع شخريت، واشتدت شوكة عكرمة، وأسلم المرتدون.

# ردة اليمن

- ارتد قيس بن عبد يغوث بن مكشوح باليمن ثانيـة لمـا بلغه وفاة رسول اللّه، مع أنه كـان اشـترك هـو وفيـروز وداذويه في قتل الأسود العنسي كما تقدم ذكره، فلمـا ارتـد أراد التخلص من فيروز وداذويه فخدعهما ودعاهمـا إلـى طعام صنعه لهما فدخل عليه داذويه فقتله، وأما فيروز فلمـا هم بالدخول سمع امرأتين على سـطحين تتحـدثان فقالـت إحداهما: هذا مقتول كما قتل داذويه ففر إلى جبل خولان وهم أخوال فيروز فامتنع بهم وكتب إلى أبي بكر يخبـره وعمـد قيس إلى تفريق الأنباء، فلما علم فيروز جـد فـي حربـه، وأرسل إلى بني عقيل بن ربيعة وإلى عك يستمدهم فمـدوه بالرجال فخرج بهم وبمن اجتمع عنده، فلقوا قيسا بالقرب من صنعاء فاقتتلوا قتالا شديدا انهزم قيس وأصحابه. وبينما هـم كذلك قدم عكرمة بن أبي جهل من مهرة مع جيشـه وقـدم أيضا المهاجر بي أبي أمية في جمع مـن مكـة والطـائف وبجيلة مع جرير إلى نجران فانضم إليه فروة بـن مسـيك المرادي فأقبل عمرو بن معدي كرب الذي كان قد ارتد حتى

دخل على المهاجر من غير أمان فأوثقه المهاجر وأخذ قيساً أيضا فأوثقه وسيرهما إلى أبي بكر فقال لقيس:

(يا قيس قتلت عباد اللّه واتخذت المرتدين وليجة [1] من دون المؤمنين) فانتفى قيس من أن يكون قارف من داذويه شيئا، وكان قتله سرا فتجافى له عن دمه.

## وقال لعمرو بن معدي كرب:

(أما تستحي أنك كل يوم مهزوم أو مأسور. لو نصرت هذا الدين لرفعك اللّه).

فقال: لا جرم لأقبلن ولا أعود فخلى أبو بكر سبيله.

ورجعا إلى عشائرهما فسار المهاجر من نجران [2] والتقت الخيول على أصحاب العنسي فاستأمنوا فلم يؤمنهم وقتلهم بكل سبيل ثم سار إلى صنعاء فدخلها وكتب إلى أبي بكر بذلك.

---

(1) الوليجة: البطانة.

(2) نجران: من مخاليف اليمن من ناحية مكة دخل أهلها النصرانية بعد أن كانوا أهل شرك يعبدون الأصنام.

# ردة حضرموت وكندة

- حضرموت صقع ببلاد العرب قيل سمي بحضرموت بن قحطان لأنه أول من نزله، وكان اسم هذا الرجل عامرا، فكان إذا حضر حربا أكثر من القتل فصاروا يقولـون عنـد حضوره حضرموت ثم جرى ذلك عليه لقبا وسكنوا الضـاد للتخفيف، وجعلوا الاسم مركبا مزجيا علـى الأشـهر، ثـم صاروا يقولون للأرض التي كانت بها هذه القبيلة حضرموت ثم أطلق على البلاد نفسها.

تحد حضرموت غربا باليمن وشـرقا بعمـان وشـمالا بالدهناء، وقال ياقوت وهي ناحية واسعة في شـرقي عـدن بقرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف.

كان الأشعث بن قيس قدم على النبي صلى اللّـه عليـه وسلم في وفد كندة من حضرموت فأسلموا وسألوا أن يبعـث عليهم رجلا يعلمهم السنن ويجبي صدقاتهم فأنفذ معهم زيـاد بن لبيد البياضي [1] عاملا للنبي صلى اللّه عليه وسلم يجبيهم،

---

([1]) زياد بن لبيد الأنصاري يكنى أبا عبد اللّه خرج من المدينـة إلى رسول اللّه وأقام معه بمكة حتى هاجر مع رسول اللّه إلى المدينـة

فلما مات رسول اللّه نكص الأشعث عن بيعة أبي بكر رضي اللّه عنه ونهاه ابن امرئ القيس بن عابس فلم ينته، فكتب زيا د إلى أبي بكر بذلك فكتب أبو بكر إلى المهاجر بن أبي أمية وكان على صنعاء بعد قتل العنسي أن يمد زيادا بنفسه ويعينه على المرتدين بمن عنده من المسلمين. فجمع زياد جموعـه وأوقع بمخاليفه فنصره اللّه عليهم حتى تحصنوا بـالنجير [1] بعد أن رموه، فحصرهم فيه ثم تقدم إليـه عكرمـة بجيشـه فأعيوا عن المقام في الحصن، فاجتمعوا إلى الأشعث وسألوه أن يأخذ لهم الأمان فأرسل إلى زياد بن لبيد يسـأله الأمـان حتى يلقاه ويخاطبه فأمنه، فلما اجتمع به سأله أن يؤمن أهـل النجير ويصالحهم فامتنع عليه وراده حتى آمن سبعين رجلا منهم وفيهم أخو قيس وبنو عمه وأهله ونسى نفسه وأن يكون حكمه في الباقي نافذا، فخرج سبعون فأراد قتل الأشعث وقال له: أخرجت نفسك من الأمان بتكملة عدد السبعين فسـأله أن يحمله إلى أبي بكر ليرى فيه رأيه وفتحوا له حصن النجيـر

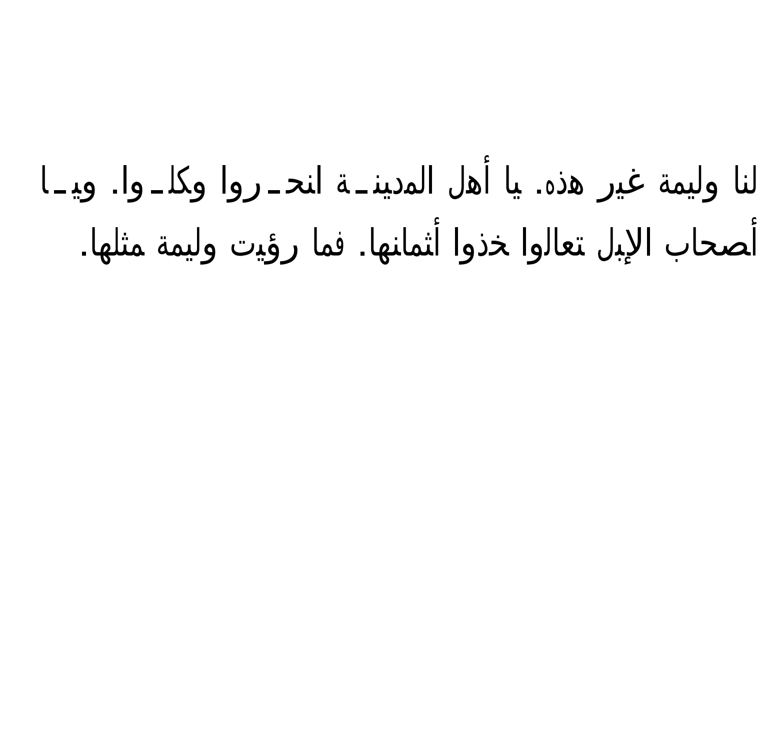
---

==فكان يقول له مهاجري أنصاري. شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول اللّه.

(1) النجير: حصن قرب حضرموت.

وكان فيه كثير فعمد إلى أشرافهم نحو ٧٠٠ رجل فضـرب أعناقهم ولام القوم الأشعث وقالوا لزياد: إن الأشـعث غـدر بنا. أخذ الأمان لنفسه وأهله وماله ولم يأخذ لنا وإنمـا نـزل على أن يأخذ لنا جميعا. وأبى زياد أن يوارى جثث من قتـل وتركهم للسباع وكان هذا أشد على من بقي من القتل، وبعث السبي مع نهيك بن أوس بن خزيمة وكتب إلى أبي بكر: 'نـا لم نؤمنه إلا على حكمك، وبعث الأشعث في وثاق وماله معه ليرى فيه رأيه، فأخذ أبو بكر يقرع الأشـعث ويقـول لـه: فعلت، فعلت. فقال الأشعث: استبقني لحربك، وسأله أن يـرد عليه زوجته وقد كان خطب أم فروة بنت أبي قحافـة أخـت أبي بكر لما قدم على رسول اللّه فزوجه وأخرها إلى أن يقدم الثانية. فحقن أبو بكر دمه بعد أن أسلم أمامه ورد عليه أهله وقال له (انطلق فليبلغني عنك خير).

ولما تزوج الأشعث أم فروة اخترط سيفه ودخل سـوق الإبل فجعل لا يرى جملا ولا ناقة إلا عرقبه وصاح النـاس (كفر الأشعث) فلما فرغ طرح سيفه وقال: إنـي واللّـه مـا كفرت ولكن زوجني هذا الرجل أخته ولو كان ببلادنا لكانت



لنا وليمة غير هذه. يا أهل المدينـة انحـروا وكلـوا. ويـا أصحاب الإبل تعالوا خذوا أثمانها. فما رؤيت وليمة مثلها.

# مسير خالد إلى العراق وصلح الحيرة سنة ١٢هـ - ٦٣٣ م

- كان المثنى [1] بن حارثـة الشـيباني ممـن حـارب وانتصر في البحرين، فاستأذن أبا بكر أن يغزو العراق، فأذن له فكان يغزوهم قبل قدوم خالد فتقدم نحو الخليج الفارسـي، وأخضع القطيف، ثم قاد جيشه إلى دلتا الفرات، وبلـغ عـد جيشه ٨٠٠٠ مقاتل، لكنه وجد مقاومة مـن جـيش العـدو، فأرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهـو باليمامـة يـأمره بالمسير إلى العراق. وقد أخمدت الثورة في جميع العرب في أوائل السنة الثانية عشرة الهجرية، فاهتم أبو بكـر بتوجيـه

---

(١) المثنى هو الذي أطمع أبا بكر والمسلمين في الفرس وهـو أمر الفرس عندهم وكان شهماً شجاعاً حسن الرأي. أبلـى فـي قتـال الفرس بلاء لم يبلغه أحد، وكانت تأتي أخبار انتصاراته أبا بكر فقـال من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه؟ فقيل قيس بن عاصم أمـا إنه غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا قليل العدد ولا ذليل الغارة، ذلك المثنى بن حارثة الشيباني.

الجنود إلى جهات أخرى فأرسل جيشين إلى الشـمال وأمـر على أحدهما خالدا، ومعه المثنى للزحف نحو الأبلـة [1] ثـم الزحف نحو الحيرة [2] وأمر على الجـيش الثـاني عياضـا ووجهه إلى دومة بين الخليج الفارسي وخلـيج العقبـة، ثـم بالمسير إلى الحيرة أيضا، فإذا سبق أحدهما الآخر كان أميرا على صاحبه. أما عياض الذي كانت وجهته دومة فقد عوقـه العدو مدة طويلة، وأما خالد فإنه لم يلاق مقاومة في طريقـه إلى العراق كما لقي عياض، وانضم إليه عدد كبير من البدو فتقوى بهم، وكثر جيشه حتى صار عدده ١٠,٠٠٠ مقاتل عدا جيش المثنى البالغ عدده ٨,٠٠٠ وكان الجميع تحـت قيـادة خالد. فكان أول من لاقاه هرمز وكـان العـرب يبغضـونه لظلمه، ويضربونه مثلا فيقولون: (أكفر من هرمـز) فكتـب إليه خالد قبل خروجه:

---

([1]) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاويـة الخلـيج الذي يدخل إلى مدينة البصرة وهي أقدم مـن البصـرة لأن البصـرة مصرت في أيام عمر بن الخطاب وكانت الأبلة حينئذ مدينة.

([2]) الحيرة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضـع يقـال لـه النجف. وكانت الحيرة مركزاً لجملة ملوك اعتنقوا المسيحية وحكمـوا أكثر من ٦٠٠ سنة تحت ظل الفرس.

(أما بعد فأسلم تسلم، أو أعقد لنفسك وقومك الذمة، وأقرر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة).

وقد جعل هرمز على مقدمته قباذ وأنو شجان، وكانا من أولاد أردشير الأكبر، فسمع بهم خالد فمال بالناس إلى كاظمة[1].

فسبقه هرمز إليها، فقدم خالد فنزل على غير ماء. فقال له أصحابه في ذلك: ما نفعل؟ فقال لهم: (لعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين) وتقدم خالد إلى الفرس، وأرسل اللّه سحابة فأغدرت وراء صف المسلمين فقويت قلوبهم.

---

(1) كاظمة: على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان. وهي اليوم في الكويت إلى الغرب من عاصمتها.

# موقعة ذات السلاسل

- خرج هرمز ودعا خالدا إلى البراز، وأوطأ أصـحابه على الغدر بخالد فبرز إليه خالد، ومشى نحوه راجلا ونـزل هرمز أيضا وتضاربا فاحتضنه خالد وحمل أصحاب هرمـز فما شغله ذلك عن قتله، وانهزم الفرس بعد أن قتل منهم عدد عظيم وسميت الموقعة(ذات السلاسل) لأن فريقا مـن جنـد الفرس قد قد قرنهم هرمز بالسلاسل خوفا من فرارهم. ونجا قباذ وأنوشجان، وأخذ خالد سلب هرمز، وكانت قلنسوته بمئة ألف لأنه كان قد تم شرفه في الفرس، وكانت هذه عاداتهم إذا تم شرف الإنسان تكون قلنسوته بمائة ألف، وكانت القلنسـوة مفصصة بالجواهر، وبعث خالد بالفتح والأخماس إلى أبـي بكر، ومما غنمه المسلمون في ميدان القتال فيل فأرسل إلـى المدينة مع الغنائم. فلما طيف به ليراه الناس جعل ضـعيفات النساء يقلن (أمن خلق اللّه هذا؟) فرده أبو بكر.

## حصن المرأة وحصن الرجل

- ثم صار خالد حتى نزل بموضـع الجسـر الأعظـم بالبصرة وخرج المثنى بن حارثة حتى انتهى إلـى (حصـن المرأة) فخاف المثنى بن حارثة عليه أخاه فحاصرها ومضى المثنى إلى زوجها وهو في حصنه المسمى (حصن الرجـل) فحاصره واستنزلهم عنوة فقتلهم وغنم أموالهم. ولمـا بلـغ المرأة ذلك صالحت المثنى وأسلمت فتزوجها المثنى، وكـان هذا الحصن قصرا واسم المرأة كما جـاء فـي الـبلاذري (كامور زاد بنت نرسي) لأن أبا موسى الأشعري قد نزل بها فزودته خبيصا فجعل يكثر أن يقول أطعمونا مـن خبـيص (المرأة) فغلب على اسمها.

وقد نال كل فارس في يوم ذات السلاسل ١٠٠٠ درهم والراجل الثلث.

انهزام الفرس ثانياً موقعة الثنى [١] صفر سنة ١٢هـ - سنة ٦٣٣م.

---

([١]) الثنى: من كل نهر منعطفة ويقال الثنى اسم لكل نهر.

- لما وصل خبر انهزام هرمز إلى المـدائن عاصـمة الفرس، أرسل ملكهم أردشير جيشا آخر وأمر عليه قارن بن قريانس. فلما انتهى إلى المذار [1] انضم إلى الجيش المنهزم ورجعوا ومعهم قباذ وأنو شجان ونزلوا الثنـى وهـو نهـر متفرع من الدجلة والتقوا بالمثنى الذي كان قد توقـف عنـد الثنى فأحدق الخطر بالمثنى، فوافاه خالد والتقوا في الوقـت المناسب، ودارت رحى القتال بينهم وانتهى الأمـر بفـرار الفرس، وقتل مهم نحو ٣٠,٠٠٠ [2] سوى من غرق وفر من نجا منهم بالقوارب. وقد كان النهر عائقا في سبيا اقتفاء أثـر العدو، غير أن الغنائم كانت عظيمة، وقتل كل رجـل قـادر على الحرب، وأسر النساء، وأخذ الجزيـة مـن الفلاحـين، وصاروا ذمة، وصارت أرضهم لهم، وكان في السـبي أبـو

---

(١) المذار في ميسان بين واسط البصرة وهي قصبة ميسان وبها قبـر عبد اللّه بن علي بن أبي طالب ويقال إن الحريري صاحب المقامات قد مات بها.

(٢) ذكر هذا العدد الطبري وابن الأثير لكن مستر مـوير فـي كتابـه الخلافة لم يحدد العدد بل قال إن عدد القتلى كان كثيراً وعلى كل حـال فالعدد تقريبي.

الحسن البصري وكان نصرانيا وأمر على الجند سـعيد بـن نعمان وعلى الجزية سويد بن مقرن المزني.

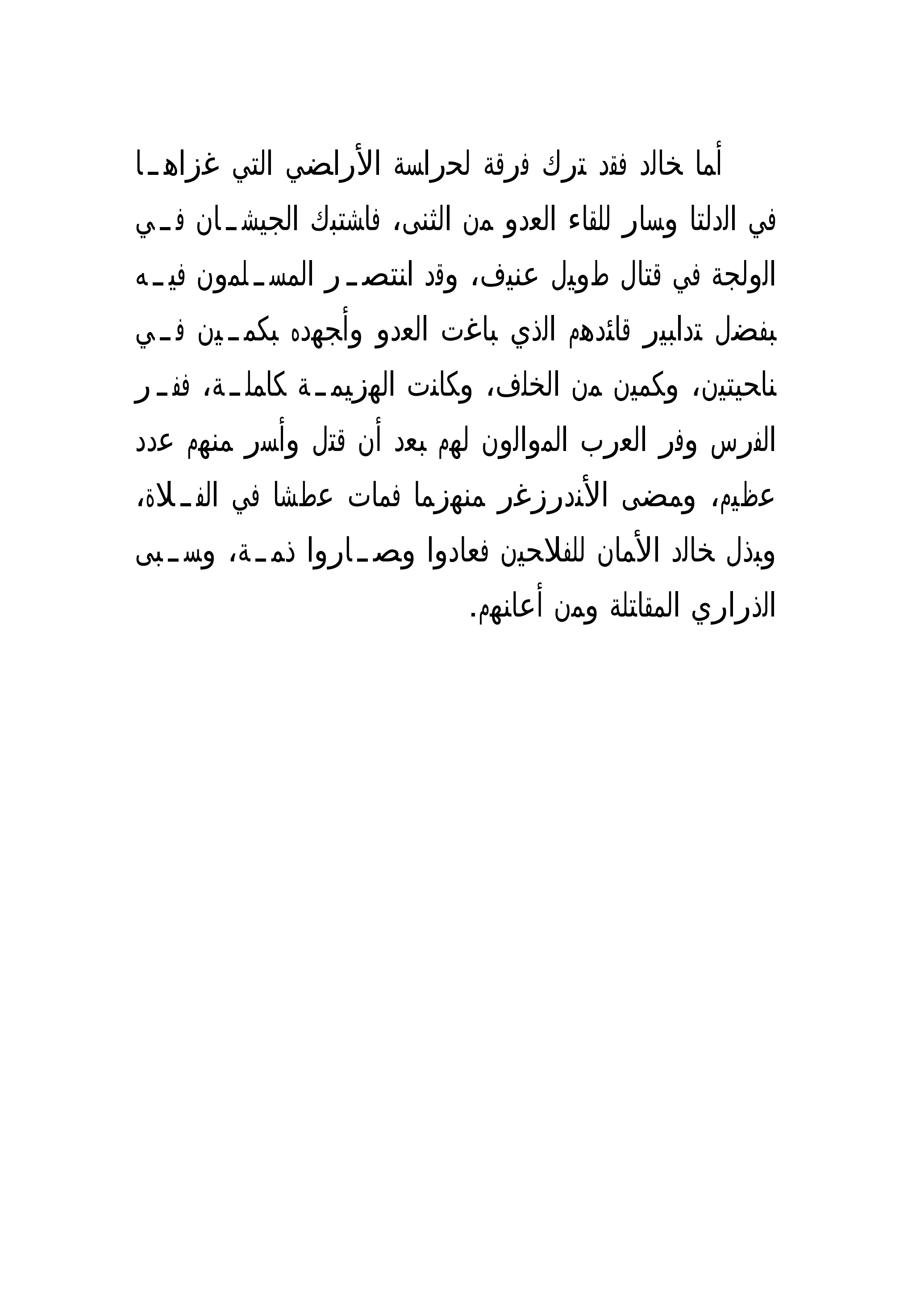
أما قارن بن قريانس أمير جيش الفرس الـذي أرسـله أردشير لإمداد هرمز فقد قتله معقل بن الأعشى بن النبـاش، وقتل عاصم أنو شجان وقتل عدي بن حاتم قباذ، وكان قارن قد تم شرفه ولم يقاتل المسلمون بعده أحدا تـم شـرفه فـي الأعاجم. وزاد سهم الفارس يوم الثنى على سهمه فـي ذات السلاسل.

## موقعة الولجة [1] شهر صفر سنة ١٢هـ - إبريل سنة ٦٣٣ م

- اضطرب البلاط الملكـي فـي فـارس مـن جـراء انتصارات العرب، وتحدثوا فيما بينهم بأنه يجـب محاربـة العرب بعرب مثلهم يعرفون خططهم الحربية. فجند الملـك جيشا عظيما من قبيلة بكر والقبائل الأخرى الموالية له تحت قيادة قائد مشهور منهم يدعى الأندرزغر وكان فارسيا مـن مولدي السواد. وأرسل بهمن جاذويه في أثره ليقود جيـوش الملك وحشر الأندرزغر من بين الحيرة وكسكر، ومن عرب الضاحية، وتقدمت الجيوش المتحدة نحو الولجة بالقرب مـن ملتقى النهرين.

---

(١) الولجة بأرض كسكر موضع مما يلي البر وكسكر كورة واسـعة ينسب إليها الفراريج الكسكرية لأنها تكثر بها جداً. وحد كورة كسـكر من الجانب الشرقي في آخر سقس النهروان إلى أن تصب الدجلة فـي البحر كله. أما نهروان فهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد.



أما خالد فقد ترك فرقة لحراسة الأراضي التي غزاها في الدلتا وسار للقاء العدو من الثنى، فاشتبك الجيشان في الولجة في قتال طويل عنيف، وقد انتصر المسلمون فيه بفضل تدابير قائدهم الذي باغت العدو وأجهده بكمين في ناحيتين، وكمين من الخلف، وكانت الهزيمة كاملة، ففر الفرس وفر العرب الموالون لهم بعد أن قتل وأسر منهم عدد عظيم، ومضى الأندرزغر منهزما فمات عطشا في الفلاة، وبذل خالد الأمان للفلاحين فعادوا وصاروا ذمة، وسبى الذراري المقاتلة ومن أعانهم.

# خطبة خالد

- قام خالد في الناس خطيبا يرغبهم في بـلاد العجـم. ويزهدهم في بلاد العرب وقال:

(ألا ترون إلى الطعام كرفغ التراب [1] ، وبالله لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء إلى الله عز وجـل، ولـم يكـن إلا للمعاش لكان الرأي أن نقارع على هذا الريف حتـى نكـون أولى به، ونولي الجوع والإقلال ممن تولاه، ممن اثاقل عما أنتم عليه).

---

(1) أي كثير.

# موقعة أليس [1] شهر ربيع الأول سنة ١٢هـ - أيار مايو سنة ٦٣٣ م

- انقسمت قبيلة بني بكر في القتال إلى قسمين، قسم مع خالد وقسم مع الفرس.

ولما أصاب خالد يوم الولجة من أصاب من بكـر بـن وائل من أنصارهم الذين أعانوا أهل الفرس، غضـب لهـم نصارى قومهم فكاتبوا الأعاجم فاجتمعوا إلى أليس وعلـيهم عبد الأسود العجلي، وكان أشد الناس على أولئك النصـارى مسلمو بني عجل.

---

([1]) أليس مصغر: في أول أرض العراق من ناحية البادية وهي على صلب الفرس، قال أبو مقرن الأسود بن قطبة يذكر يوم أليس:

بقينا يوم أليس وأمغى ويوم المقر آساد النها.

فلم أر مثلها فضلات حرب أشد على الجحاجحة الكبا.

قتلنا منهم سبعين ألفاً بقية حربهم نخب الأسا.

سوى من ليس يحصى من قتيل ومن قد جال جولان الغبا.

كتب أردشير ملك الفرس إلى بهمن جاذويه وهو بقسيانا: أن سر حتى تقدم أليس بجيشك إلى من اجتمع بها من فارس ونصارى العرب، فقدم بهمن جاذويه وجابان وسار جابان نحو أليس وهي في منتصف الطريق بين الحيرة والأبلة.

ثم انطلق بهمن إلى أردشير ليعرف رأيه ويتلقى أمره فوجده مريضا فبقي ملازما البلاط.

أما جابان فإنه مضى حتى أتى أليس فنزل بها. وكان خالد قد بلغه تجمع عبد الأسود ومن معهم فسار إليهم وهو لا يشعر بدنو جابان، وترك عند الحفير فرقة قوية لحماية ظهره، وبرز أمام الصف ونادى رؤساءهم إلى البراز له فبرز له مالك بن قيس فقال له خالد (يا بن الخبيثة ما جرأك علي من بينهم وليس فيك وفاء؟) فضربه وقتله. ونشبت الحرب بين الفريقين واقتتلوا قتالاً شديداً.

# نهر الدم

- ولما وجد خالد شدة مقاومة العدو قال:

(اللّهم إن لك علي إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقي منهم أحدا قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم).

وأخيرا لم يستطع الفرس مقاومة المسلمين ففروا منهزمين فأمر خالد مناديه فنادى في الناس (الأسر. الأسر. لا تقتلوا إلا من امتنع).

فأقبلت الخيول بهم أفواجا مستأسرين يساقون سوقا وقد وكل بهم رجالا يضربون أعناقهم في النهر، فجرت الدماء في النهر فسمى لذلك (نهر الدم) وبعث خالد بالخبر مع رجل يدعى جندلا من بني عجل إلى أبي بكر، يخبره بفتح أليس وبقدر الفيء وبعدة السبي وبما حصل من الأخماس، وبأهل البلاد من الناس، وأمر أبو بكر لجندل بجارية من ذلك السبي. وبلغ قتلى العدو من أليس ٧٠٠٠٠ كما ذكر الطبري وكما جاء في شعر أبي مقرن الأسود بن قرطبة حيث قال:

قتلنا منهم سبعين ألفاً بقية حربهم نخب الأسار

## موقعة أمغيشيا وهدمها

- لما فرغ خالد من أليس سار إلى أمغيشيا وكانت مصرا كالحيرة فغزا أهلها وأعجلهم أن ينقلوا أموالهم فغنم جميع ما فيها وقد جلا أهلها وتفرقوا في السواد وبلغ سهم الفارس ١٥٠٠ سوى الذي نفله أهل البلاء. أرسل إلى أبي بكر بالفتح ومبلغ الغنائم. فلما بلغ ذلك أبا بكر قال: (أعجزت النساء أن يلدن مثل خالد) وفي رواية (عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله [١] أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد).

---

(١) خراذيله قطع اللحم، مفردها خرذولة.

## حصار الحيرة وتسليمها ربيع الأول سنة ١٢هـ - أيلول سبتمبر سنة ٦٣٣ م

- سار خالد من أمغيشيا إلى الحيرة، وحمـل الرجـال والرحال والأثقال في السفن فخرج مرزبان الحيرة (حاكمهـا الفارسي) ويدعى الأزاذبة وأرسل ابنه فقطـع المـاء عـن السفن، وذلك بسد الفرات فبقيت السفن على الأرض فسـار خالد في خيل نحو ابن الأزاذبة فلقيه على فم فرات بـادقلى فقتله وقتل أصحابه، غير أن المدينة كانت محصنة بأربعـة حصون فأبت التسليم فحصرهم وقاتلهم المسلمون فـاقتحموا الدور والويورة [١] وأكثروا القتل فنادى القسيسون والرهبـان (يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم)، فنـادى أهـل القصـور المسلمين. (قد قبلنا واحدة من ثلاث: إما الإسلام، أو الجزية، أو المحاربة).

أما الأزاذبة فإنه هرب إذ بلغه موت أردشير.

وهذه أسماء قصور الحيرة التي تحصنوا فيها:

---

(١)

- ١- القصر الأبيض وفيه إياس بن قبيضة الطائي. وكـان ضرار بن الأزور محاصرا له.
- ٢ - قصر الغريين وفيه عدي بن عدي. وكان ضرار بن الخطاب محاصرا له.
- ٣ - قصر ابن مازن وفيه ابن أكال. وكان ضـرار بـن مقرن المزني محاصرا له.
- ٤ - قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة. وكان المثنى محاصرا له.

خرج هؤلاء الرؤساء الأربعة من قصـورهم فأرسـلهم المسلمون إلى خالد فكان أول من طلب الصلح، عمـرو بـن عبد المسيح، فصالحوه على ١٩٠,٠٠٠ وأهدوا إليه الهـدايا وبقوا على دينهم. وبعث خالد بالفتح والهدايا إلى أبي بكر مع الهذيل الكاهلي فقبلها أبو بكر من الجزاء، وكتب إلى خالـد: أن أحسب لهم هديتهم من الجزاء، وخذ بقية ما عليهم فـوق بها أصحابك.

محاورة بين خالد بن الوليد وعمرو بن عبد المسيح.

- لما مثل عمرو بن عبد المسيح أمام خالد قال له خالد:
- كم أتى عليك؟

- مئون من السنين.

- فما أعجب ما رأيت؟

- رأيت القرى منظومة ما بين دمشق والحيرة تخـرج المرأة من الحيرة فلا تزود إلا رغيفاً [1] فتبسم خال وقال:

- هل لك من شيخك إلا عمله. خرفت والله يا عمـرو. ثم أقبل على أهل الحيرة وقال: ألم يبلغني أنكم خبثة خدعـة مكرة، فما لكم تتناولون حوائجكم بخرف [2] لا يدري من أين جاء؟ فتجاهل له عمرو وأحب أن يريه من نفسه ما يعرف به عقله، ويستدل به على صحة ما حدث به فقال:

- وحقك أيها الأمير إني لأعرف من أين جئت.

- فقال: من أين جئت.

- فقال عمرو: أقرب أم أبعد؟

- ما شئت.

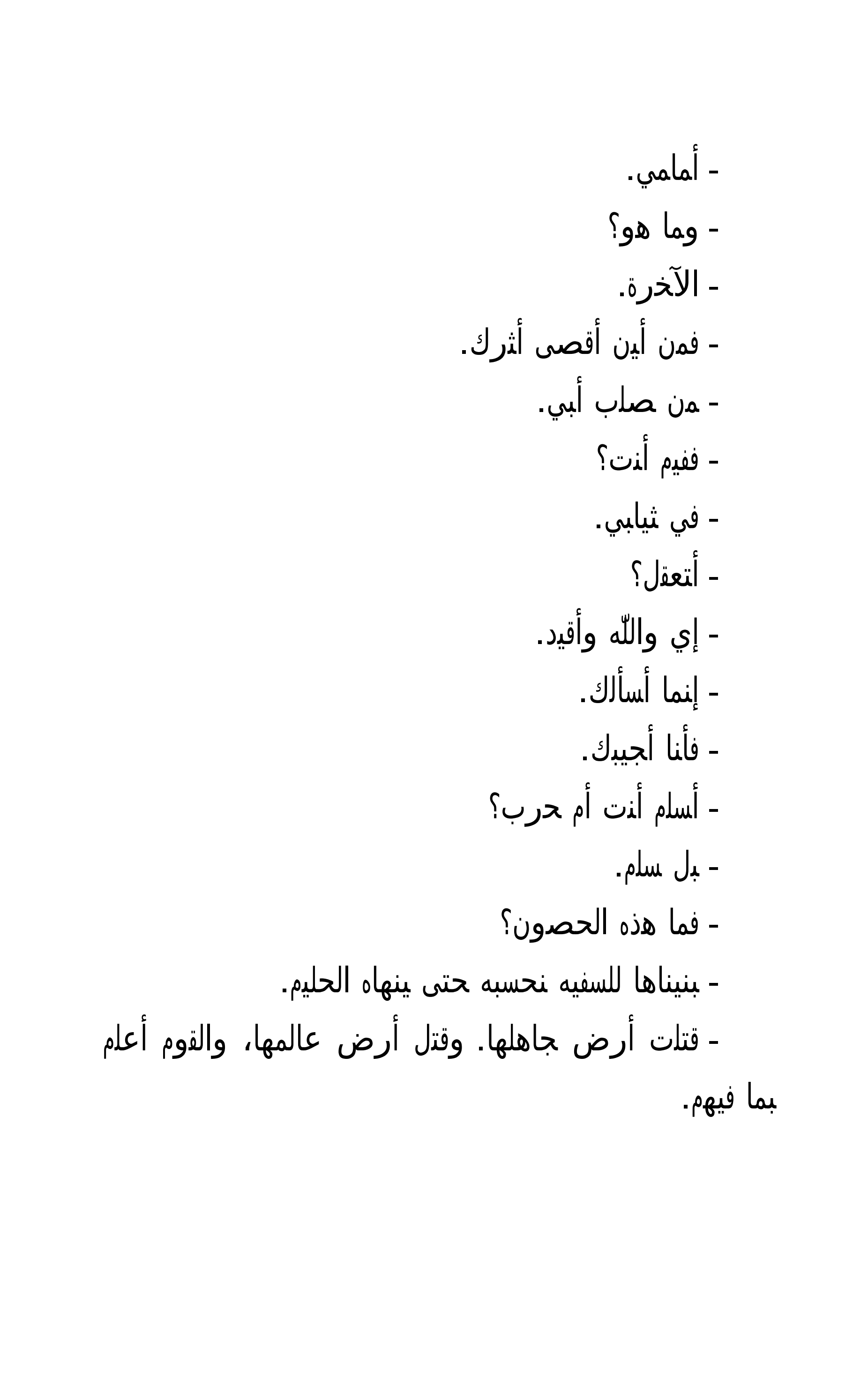
- من بطن أمي.

- فأين تريد؟

---

([1]) أي لأنهخا لا تعدم ما تأكله في طريقها لقرب القرى من بعضها مع المسافة بين دمشق والحيرة ولكرم الأهلين.

([2]) برجل فاسد العقل لكبر سنه.



- أمامي.
- وما هو؟
- الآخرة.
- فمن أين أقصى أثرك.
- من صلب أبي.
- ففيم أنت؟
- في ثيابي.
- أتعقل؟
- إي واللّه وأقيد.
- إنما أسألك.
- فأنا أجيبك.
- أسلم أنت أم حرب؟
- بل سلم.
- فما هذه الحصون؟
- بنيناها للسفيه نحسبه حتى ينهاه الحليم.
- قتلت أرض جاهلها. وقتل أرض عالمها، والقوم أعلم بما فيهم.



- فقال عمرو: أيها الأمير، النملة أعلم بما في بيتها من الجمل بما في بيت النمل.

## خالد يتناول السم الزعاف فلا يؤثر فيه

- ذكرنا كرامتين للعلاء بن الحضـرمي. والآن نـذكر كرامة لخالد بن الوليد،و لم يكن أحدهما ساحرا ولا كاهنا. بل كان كل منهما بطلا مقداما، فقد كان مع عمـرو بـن عبـد المسيح بن بقيلة خادم معه كيس فيه سم، فأخذه خالد ونثـره في يده وقال: لم تستصحب هذا؟ قال: خشيت أن تكون على غير ما رأيت فكان أحب إلي من مكروه أدخله على قـومي. فقال خالد: لن تموت نفسه حتى تأتي على أجلها. وقال (بسم اللّه خير الأسماء. رب الأرض ورب السماء الذي لا يضـر مع اسمه داء. الرحمن الرحيم) فابتلع خالد السم. فقال عمرو: (و اللّه يا معشر العرب لتملكن ما أردتم. ما دام أحد مـنكم هكذا [1] لم يكن لابتلاع السم أي تأثير في خالد، فلم يمرض، ولم يمت مع أن عمرو بن عبد المسيح كان قد أعده للانتحار.

وصالح خالد أهل الحيرة، ففرضت عليهم الجزية عـدا رجال الدين واشتغل المسلمون بحماية المدينة مـن الهجـوم عليها. وكان لعبد المسيح الذي مر ذكره ابنة تدعى كرامـة

---

(1) راجع الطبري والكامل لابن الأثير عند ذكر فتح الحيرة.

فتمسك خالد بتسليمها إلى شويل؛ لأنه كان رآها شابة فمـال إليها، فوعده النبي صلى اللّه عليه وسلم ذلك، فلمـا فتحـت الحيرة طلبها وشهد له شهود بوعد النبي صلى اللّـه عليـه وسلم أن يسلمها إليه، وعلى ذلك سلمها له خالد، فاشتد ذلـك على أهل بيتها وقرابتها. فقالت لهم: اصبروا فإنما هذا رجل أحمق. رآني في شبيبتي فظن أن الشباب يدوم، فافتدت منـه بألف درهم ورجعت إلى أهلها.

# صلاة الفتح

- لما فتح خالد الحيرة صلى صلاة الفتح ثماني ركعات لا يسلم فيهن وقال:

لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة أسياف وما لقيت قوما كقوم لقيتهم من أهل فارس، وما لقيت من أهل فارس كأهل أليس.

وبعد أن احتل خالد الحيرة مكث فيها عاما عين عمالا لجباية الخراج وأمراء للثغور، وتم صلح الحيرة بدفع مبلغ ٦٠٠,٠٠٠ درهم جزية وهو مبلغ قليل، لكنه كان في نظر العرب مبلغا عظيما.

## الفرس وشرب الخمر.

- ذكر خالد في كتابه إلى الفرس غير مرة الخمر. فمما جاء في أحد كتبه إليهم: (ألا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر) وهذا يدل على أن الخمور كانت منتشرة عندهم، وأنهم كانوا يقبلون على شربها حتى عني خالد بذكرها.

## متاعب الفرس الداخلية.

- وفي هذه الأثناء كانت الفـرس تعـاني كثيـرا مـن المتاعب الداخلية بعد ملكها أردشير، وذلك أن شـيري بـن كسرى قتل كل من كان يناسبه إلى كسرى بن قبـاذ، ولهـذا اقتصر همهم على حماية المدائن عاصمة ملكهم وما جاورها إلى نهر شير الذي هو فرع من نهر الفرات وكـان المثنـى يهدد هذه الناحية لكنه توقف عن الزحف، لأن أبي بكر نهـى عن التقدم إلا أن تحمى ظهور المسلمين.

## فتح الانبار موقعة ذات العيون.

- أنبار هي فيروز سابور القديمة. مدينة شـهيرة فـي العراق من ولاية بغداد بينها وبين بغداد عشـرة فراسـخ، وهي إلى غربيها على الفرات قرب مخـرج نهـر عيسـى، وبابل في شماليها وتبعد عنها نحو ثمانين ميلا. قيل سـميت بالأنبار لأنه كان يجمع فيها أنابير الحنطة والشعير والتـبن وأنابير جمع أنبار. سار خالد على تعبئته إلى الأنبار وعلـى مقدمته الأقرع بن حابس فحاصرها المسلمون وقد تحصـن أهل الأنبار وخندقوا عليهم وأشرفوا مـن حصـنهم وعلـى

جنودهم شيرزاد صاحب ساباط، وطاف خالد بالخندق وأنشب القتال وأوصى رماته أن يقصدوا عيون جيش العدو فرمـوا رشقا واحدا ثم تابعوا فأصابوا ألف عين فسميت تلك الوقعـة (ذات العيون) وتصايح القوم (ذهبت عيون أهل الأنبار). فلما رأى ذلك شيرزاد أرسل يطلب الصلح على أمر لم يرضـه خالد، فرد رسله ونحره من إبل العسكر كل ضعيف وألقـى الإبل في أضيق مكان في الخندق حتى ردمه بها وجاز هـو وأصحابه فوقها، فاجتمع المسلمون والمشركون في الخنـدق فأرسل شيرزاد إلى خالد يطلب منه الصلح علـى مـا أراد فصالحه على أن يلحقه بمأمنه من غير أن يأخذ شـيئا مـن المتاع. وخرج شيرزاد إلى بهمن جاذويه. ثم صالح خالد من حول الأنبار وأهل كلواذى.

## فتح عين التمر [1]

- لما فرغ خالد من الأنبار استخلف عليها الزبرقان بـن بدر وسار إلى عين التمر وهي قلعة على حدود الصـحراء على مسيرة ثلاثة أيام غربا، وبها مهران بن بهرام جـوبين في جمع عظيم من العجم وعقة بن أبي عقة في جمع عظـيم من العرب وتغلب وإياد وغيرهم، فلما سمعوا بخالد، قال عقة لمهران (إن العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالـدا) قـال: (صدقت فأنتم أعلم بقتال العرب وإنكم لمثلنا في قتال العجم) فخدعه واتقى به وقال (إن احتجـتم إلينـا أعنـاكم) فلامـه أصحابه من الفرس على هذا القول فقال لهم (إنه قد جـاءكم من قتل ملوككم وفل حدكم فاتقيته بهم. فإن كانت لهم علـى خالد فهي لكم. وإن كانت الأخرى لم يبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم ونحن أقوياء وهم ضعفاء) فاعترفوا بفضل الـرأي. وسار عقة إلى خالد فعبأ خالد جنده، وبينما كان عقـة يقـيم صفوفه حمل عليه خالد بنفسه فاحتضنه وأخذه أسـيرا كمـا

---

([1]) في معجم البلدان، عين التمر بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفـة يجلب منها التمر إلى سائر البلاد وهو بها كثير جداً وهي على طـرف البرية وهي قديمة.

احتضن هرمز من قبل في موقعة ذات السلاسـل. فـانهزم الفرس من غير قتال وأكثر فيهم المسلمون الأسـر فسـألوه الأمان فأبى فنزل فنزلوا على حكمه، فأخذهم أسـرى وقتـل عقة ثم قتلهم أجمعين وسبى كل من في الحصن وغنم ما فيه. ووجد في بيعتهم [1] أربعين غلاماً يتعلمـون الإنجيـل علـة مذهب نسطور [2] . وكان عليهم باب مغلق فكسـره عـنهم وقسمهم بين القواد. وكان منهم أبو زياد مولى ثقيف ونصير أبو موسى بن نصير، وأرسل الوليد بن عقبة إلى أبي بكـر بالخبر والأخماس.

---

([1]) البيعة: كنيسة للنصارى.

([2]) راجع مذهب نسطور في كتاب "محمد رسول اللّه" للمؤلف عند ذكر إسلام النجاشي صفحة ٣٤٣ و٣٤٤.

## موقعة دومة الجندل شهر رجب سنة ١٢هـ - أيلول سبتمبر سنة ٦٣٣ م

- دومة الجندل مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة، وهي أقرب بلاد الشام إلى المدينة وبقرب تبوك. وكان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم خرج لغزوها في ربيع الأول سنة خمس (يولية سنة ٦٢٦م) وكانت أول غزوات الشام [1] .

وكان أبو بكر قد أرسل جيشين إلى الشمال وأمر على أحدهما خالداً ووجهته نحو الأبلة ثم الزحف على الحيرة، وأمر على الثاني عياضا ووجهته دومة عوقه العدو مدة طويلة ولم يستطع أن ينضم إلى خالد، فلما أرسل خالد بن عقبة إلى أبي بكر بخبر فتح عين التمر اهتم أبو بكر فأرسل الوليد لمساعدة عياض. وكان خالد لما فرغ من عين التمر أتاه كتاب عياض يستمده فسار خالد إليه تاركا القعقاع على

---

(١) راجع كتاب "محمد رسول اللّه" للمؤلف صفحة ٢٦٥.

الحيرة، وكان بدومة رئيسان أكيـدر بـن عبـد الملـك [1] والجودي بم ربيعة يساعدهما بنو كلب وقبائل أخـرى مـن صحراء الشام.

ولما سمع أكيدر بقدوم خالد تخوف وبادر بالتسـليم، إلا أن خالدا أسره وضرب عنقه ثم أخذ ما كان معه. ثم هـاجم عياض القبائل المعادية من جهة الشام وخالد من جهة فارس فانهزم العدو شر هزيمة، وأخذ الجودي أسيرا فقتلـه وقتـل الأسرى، وأخذ حصونهم، وسبى الذريـة والسـرح فبـاعهم واشترى خالد ابنة الجـودي وكانـت موصـوفة بالجمـال وتزوجها في ميدان القتال ثم رجع إلى الحيرة، وكان يريـد محاربة أهل المدائن فمنعه من ذلك كراهية مخالفة أبي بكر.

---

(1) راجع بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر في كتاب "محمد رسول اللّـه" للمؤلف صفحة ٤٢٨ – ٤٢٩.

## البعوث إلى العراق شهر شعبان سنة ١٢هـ - تشرين الأول أكتوبر سنة ٦٣٣م

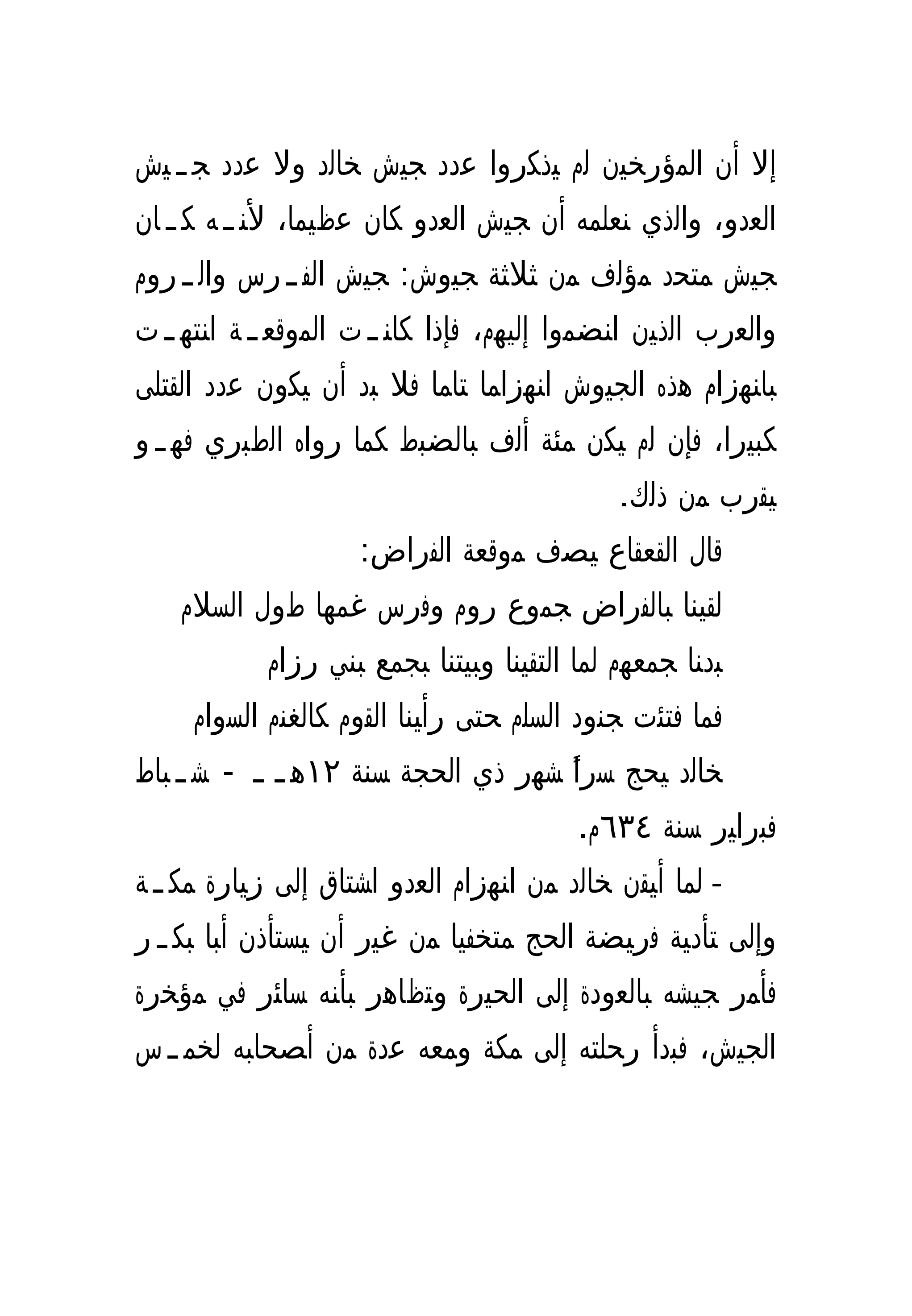
- لقد شجع غياب خالد الفرس ومن والاهم من العرب، ولا سيما بني تغلب على مناوشة المسلمين وطمع الأعـاجم، وكاتبهم عرب الجزيرة غضبا لعقة الذي قتلـه خالـد بعـين التمر، إلا أن القعقاع استطاع الدفاع عن الأنبار، ولمـا قـدم خالد خرج وعلى مقدمته الأقرع بن حابس واستخلف علـى الحيرة عياض بن غنم، وهاجم الفرس على الشاطئ الشرقي للفرات فهزمهم وقتل قوادهم، وهاجم البدو علـى الشـاطئ الغربي ليلا وهم نيام فقتلهم وسبى الذرية وأرسل الغنائم إلى المدينة.

موقعة الفراض شهر ذي القعدة سنة ١٢هـ - كـانون الثاني يناير سنة ٦٣٤م.

- ثم قصد خالد إلى الفراض تخـوم الشـام والعـراق والجزيرة فأفطر بها رمضان في تلك السفرة التـي اتصـلت

فيها الغزوات، فلما اجتمع المسلمون بالفراض حميت الـروم واغتاظت، واستعانوا بمن يليها من مسـالح أهـل فـارس، واستمدوا تغلب وإيادا والنمر، فأمدوهم وناهضوا خالدا حتى إذا صار الفرات بينهم قالوا: (إما أن تعبروا إلينـا وإمـا أن نعبر إليكم) قال خالد: (بل اعبروا إلينا قالوا فتنحـوا حتـى نعبر) فقال خالد: (لا نفعل ولكن اعبروا أسفل منـا) فقالـت الروم وفارس بعضهم لبعض احتسبوا ملككم. هذا رجل يقاتل على دين. وله عقل وعلم والله لينصرن ولنخذلن. ثـم لـن ينتفعوا بذلك. فعبروا أسفل من خالد. فلما تتاموا قالت الروم: امتازوا حتى نعرف اليوم ما كان من حسن أو قبيح من أينـا يجيء ففعلوا واقتتلوا قتالا شديدا طويلا. ثم إن الله عز وجل هزمهم، وقتل يوم الفـراض فـي المعركـة وفـي الطلـب ١٠٠,٠٠٠ كما رواه الطبري، وأقام خالد على الفراض بعـد الوقعة عشرا، ثم أذن بالجوع إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة.

قال مستر موير في كتابه (الخلافة) عنـد ذكـر هـذه الموقعة صـفحة ٦١ طبعـة سـنة ١٩٤٢ إن هـذا العـدد (١٠٠,٠٠٠) خرافي ويريد بذلك أنه عدد عظيم غير معقول


إلا أن المؤرخين لم يذكروا عدد جيش خالد ولا عدد جـيش العدو، والذي نعلمه أن جيش العدو كان عظيما، لأنـه كـان جيش متحد مؤلف من ثلاثة جيوش: جيش الفـرس والـروم والعرب الذين انضموا إليهم، فإذا كانـت الموقعـة انتهـت بانهزام هذه الجيوش انهزاما تاما فلا بد أن يكون عدد القتلى كبيرا، فإن لم يكن مئة ألف بالضبط كما رواه الطبري فهـو يقرب من ذلك.

قال القعقاع يصف موقعة الفراض:

لقينا بالفراض جموع روم وفرس غمها طول السلام

بدنا جمعهم لما التقينا وبيتنا بجمع بني رزام

فما فتئت جنود السلم حتى رأينا القوم كالغنم السوام

خالد يحج سراً شهر ذي الحجة سنة ١٢هـ ـ - شـباط فبراير سنة ٦٣٤م.

- لما أيقن خالد من انهزام العدو اشتاق إلى زيارة مكـة وإلى تأدية فريضة الحج متخفيا من غير أن يستأذن أبا بكـر فأمر جيشه بالعودة إلى الحيرة وتظاهر بأنه سائر في مؤخرة الجيش، فبدأ رحلته إلى مكة ومعه عدة من أصحابه لخمـس

بقين من ذي القعدة ولم يكن معه دليل، فـاخترق الصـحراء مسرعا رغما عن صعوبة الطريق.

ولما أدى فريضة الحج عاد إلى الحيرة في أوائل فصل الربيع فكانت غيبته على الجند يسيرة، فما وصلت إلى الحيرة مؤخرة الجيش حتى وافاهم خالد مع صاحب السـاقة فقـدما معا، وخالد وأصحابه محلقون، وقد كان تكتمه شديدا حتـى إنهم ظنوا أنه كان في هذه المدة بالفراض ولم يعلم أبو بكـر بحج خالد مع أنه كان في الحج أيضا، غير أنه بعد قليل بلغه الخبر فاستاء جدا وعتب عليه، وكانت عقوبته أن صرفه إلى الشام ليمد جموع المسلمين باليرموك فأرسل إليه كتابا هـذا نصه:

"سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فـإنهم قـد شجوا [1] وأشجوا وإياك أن تعود لمثل ما فعلت، فإنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجاك، ولم ينزع الشجى مـن الناس نزعك، فليهنئك أبا سليمان النية والخطوة، فأتمم يـتمم

---

([1]) شجي الرجل يشجي: حزن. وشجاه الهم يشجوه شجواً من باب قتل إذا أحزنه.

اللّه عليك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تـدل بعمل فإن اللّه له المن وهو ولي الجزاء".

وفي هذه السنة (سنة ١٢ هـ) تزوج عمر رضي اللّـه عنه عاتكة بنت زيد، وفيها مات أبو مرثد الغنوي، وهو أبـو مرثد كناز بن الحصين الذي حمل اللواء في بعـث حمـزة، وكان أول لواء عقده رسول اللّه [١] ، وفيها مات أبو العاص بن الربيع في ذي الحجة، وكان من الأسرى يوم بـدر ثـم أسلم، وهو زوج زينب بنت رسول اللّه، وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد رضي اللّه عنها أخـت خديجـة أم المـؤمنين، وأوصى إلى الزبير، وتزوج علي عليه السلام ابنتـه أمامـة بنت زينب بنت رسول اللّه، وفيها اشترى عمر أسلم مـولاه، بالناس في هذه السنة أبو بكر، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان كما ذكر ذلك الواقدي.

---

(١) راجع بعث حمزة في كتاب "محمد رسول اللّه" للمؤلـف صـفحة ١٩٣.

# غزو الشام سنة١٢ - ١٣هـ - ٦٣٣ - ٦٣٤م

- بعد أن عاد أبو بكر من الحج وجه الجنود إلى الشـام تحت قيادة خالد بن سعيد بن العاص. وكان أول لواء عقـده إلى الشام. وهو من الذين أسلموا قديما وهاجر إلى الحبشـة، إلا أن أبا بكر عزله قبل أن يسير، وكان سبب عزلـه أنـه تأخر عن بيعة أبي بكر شهرين ولقي علي بن أبـي طالـب وعثمان بن عفان فقال يا أبا الحسن (يا بنـي عبـد منـاف، أغلبتم عليها؟) فقال علي: (أمغالبة ترى أم خلافة)؟

فأما أبو بكر فلم يحقدها عليه، وأما عمـر فاضـطغنها عليه، فلما ولاه أبو بكر لم يزل به عمر حتى عزلـه عـن الإمارة وجعله رداء للمسلمين بتيماء [1] (جنوب شرقي تبوك)

---

([1]) تيماء بلد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريـق حـج الشـام ودمشق. والأبلق الفرد: حصن السموءل بن عاديا مشرف عليه فلذلك كان يقال لهـا تيماء اليهود. قال بعض العرب يذكر تيماء:

إلى اللّه أشكو لا إلى الناس أنني بتيماء تيماء الهود غريب

وإني بتهباب الرياح موكل طروب إذا هبت على جنوب

وإن هب علوي الرياح وجدتني كأنني لعلوي الرياح نسيب

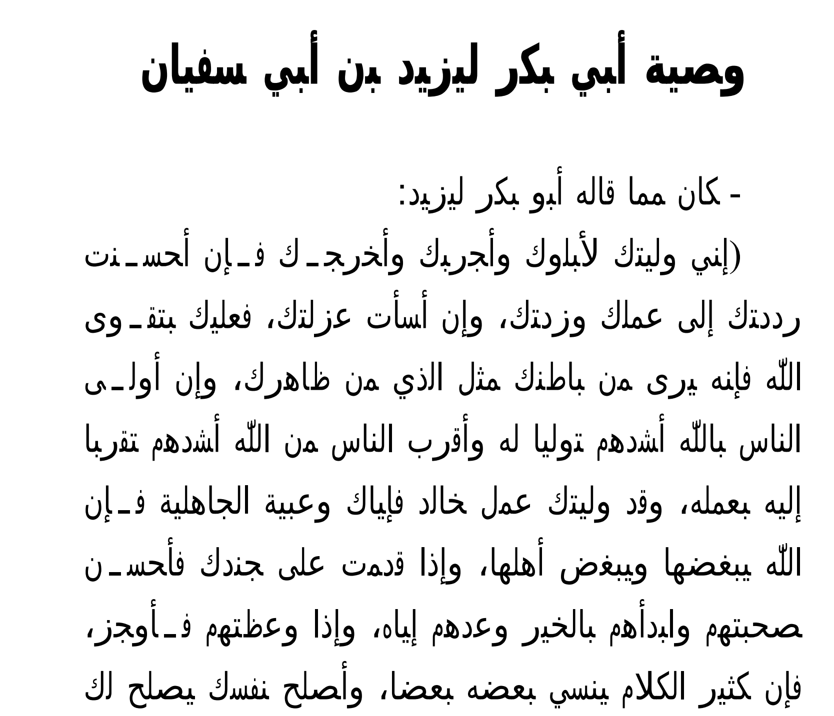
وأمره أن لا يفارقها إلا بأمره وأن يدعو من حوله من العرب إلا من ارتد وأن لا يقاتل من قاتله، فاجتمع إليه جموع كثيرة من الروم، وعلى ذلك أمره أبو بكر بالإقدام بحيث لا يـؤتى من خلفه، فتقدم شمالا نحو البحر الميت فسار إليـه بطريـق الروم [1] ويدعى (باهان) ولما وجد أنه تقدم كثيرا كتب إلـى أبي بكر يستمده. وكان قد قدم إلى أبي بكر بالمدينة جيـوش المسلمين من اليمن بعد أن هزموا المرتدين، وكـانوا علـى استعداد للحرب في جهات أخرى، فأرسل أبو بكر عكرمة بن أبي جهل والوليد بن عقبة لإمداد خالد في الشمال.

أسرع خالد بن سعيد في أوائل فصل الربيع للغزو ناسيا ما أمره به أبو بكر من عدم الزحف، فوقع في شرك باهـان جهة دمشق، وكان قد وصل إلى مرج الصفر، شرقي بحيرة طبرية فأطبق عليه العدو من الخلف ومنعه من التقهقر، وقتل ابنه سعيد في المعركة وفر خالد بفلول جيشه إلـى المدينـة وبقي عكرمة رداء للجيش بدل خالـد، فـرد عـنهم باهـان وجنوده أن يطلبوه وأقام من الشام على قرب.

---

[1] البطريق: لقب عسكري رومي عال يعادل اليوم جنرال.

ثم أمر أبو بكر يزيد بن أبي سفيان على جيش عظيم هو جمهور من انتدب إليه، فيهم سهيل بن عمرو في أمثاله مـن أهل مكة وشيعه ماشيا وأوصاه وغيره من الأمراء.



# وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان

- كان مما قاله أبو بكر ليزيد:

(إني وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى اللّه فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وإن أولى الناس باللّه أشدهم توليا له وأقرب الناس من اللّه أشدهم تقربا إليه بعمله، وقد وليتك عمل خالد فإياك وعبية الجاهلية فإن اللّه يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز، فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصل الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، ولا ترينهم فيروا خيلك ويعلموا علمك، وأنزلهم في ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت المتولي لكلامهم ولا تجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل

نفسك، واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبـار، وتنكشـف عنك الأستار، وأكثر حرسك وبددهم في عسـكرك، وأكثـر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفـل عن حرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة فإنهما أيسرهما لقربهما من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجن فيها ولا تسرع إليها ولا تخذلها مدفعا ولا تغفل عـن أهـل عسكرك فتفسدهم، ولا تتجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم. ولا تجالس العبـاثين وجالس أهل الصدق والوفاء، وأصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن الناس. واجتنب الغلول(الخيانة في المغنم) فإنه يقـر بـالفقر ويدفع النصر، وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصـوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له [1] .

وهذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعا لولاة الأمر، فإنه يذكر فيها واجبات القائد نحو جنده، ونحـو عـدوه، ومنـع تعرض القائد للمتدينين الذين حبسوا أنفسهم فـي الصـوامع احتراما لدينهم.

---

([1]) راجع (الكامل) لابن الأثير الجزء الثاني عند ذكر فتوح الشام.

وقد انقسم الجيش إلى ثلاثة أقسام كل قسم مؤلف من ٥٠٠٠ مقاتل، وأمر على اثنين منهما شرحبيل بن حسنة الذي كان قد قدم من عند خالد بن الوليد إلى أبي بكر، وعلى الثالث عمرو بن العاص، وعين لكل جيش وجهته في الشام فوجه عمرا إلى أيلة على رأس خليج العقبة [١] ومن ثم لغزو جنوب الشام أو فلسطين، ووجه يزيد وشرحبيل إلى تبوك، ثم غزوا أوساط الشام. وحمل معاوية بن أبي سفيان لواء أخيه يزيد وانضم خالد بن سعيد متطوعا إلى جيش شرحبيل وكان تعيين الأمراء الثلاثة في شهر صفر سنة ١٣هـ - نيسان إبريل سنة ٦٣٤ م ثم لما وصلت الجيوش الأخرى إلى المدينة أرسلهم أبو بكر لإمداد جيوش الشام، وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح. وعلى ذلك كان عدد الجيوش التي أرسلت أربعة، وكان أبو عبيدة أميرا عليهم جميعا، وبلغ عدد الجيش الزاحف ٢٤٠٠٠ بما في ذلك جيش عكرمة. وخرج نحو ألف من الصحابة في جيش الشام، ومن بينهم ١٠٠ ممن

---

(١) أيلة: مدينة لليهود حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوه فمسخوا قردة وخنازير.

شهدوا موقعة بدر بخلاف جيش العراق فإن المهاجرين لـم يقاتلوا فيه.

سار أبو عبيدة على باب من البلقاء [1]فقاتله أهلـه ثـم صالحوه فكان أول صلح في الشام.

---

(1) البلقاء: منطقة في شرقي نهر الأردن قاعـدتها السـلط وبجـودة حنطتها يضرب المثل.

# الظروف الملائمة لفتح الشام

- كان امبراطور الروم يبعث إلى القبائل العربيـة فـي جنوبي فلسطين إعانة مالية سنوية، غير أنه اضطر بسبب ما أنفقه على الجيش في محاربة الفرس إلى قطع الإعانة عـنهم مراعيا في ذلك الاقتصاد في النفقات وعلى ذلك اعتبرت هذه القبائل أنفسها أحرارا غير مقيدين بمحالفتهم الروم فانضـموا إلى المسلمين. ثم إن أهـل الشـام أيضـا أرهقـتهم زيـادة الضرائب فضلا عما كانوا يلاقونه من الاضطهادات الدينية، ولذلك لم يحركوا ساكنا، وقد كانوا يفضلون حكـم العـرب لحسن معاملتهم وعدلهم في أحكامهم، كل هذه كانت ظروفـا ملائمة للمسلمين المهاجمين.

## استعداد هرقل.

- وصل أمراء المسلمين إلى الشام فأخذ عمرو طريـق المعرقة [1] ونزل بالعربة وهي واد بين البحر الميت وخليج

---

([1]) المعرقة: هي الطريق التي كانت قريش تسلكها إذا أرادت الشام.

العقبة، ونزل أبو عبيدة الجابية[1] ، ونزل يزيد البلقاء، ونزل شرحبيل الأردن وقيل بصرى. فبلغ الروم ذلك فكتبـوا إلـى عرقل، وكان في القدس فقال: (أرى أن تصالحوا المسـلمين فواللّه لأن تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقوا لكم نصفه مع بلاد الروم أحب إليكم من أن يغلبـوكم علـى الشام ونصف بلاد الروم) فتفرقوا عنه وعصـوه فجمعهـم وسار بهم إلى حمص فنزلها وأعد الجنود والعسـاكر، وأراد إشغال كل طائفة من المسلمين بطائفة مـن جنـوده لكثـرة عسكره لتضعف كل فرقة من المسلمين عمن بإزائها، فأرسل إلى عمرو أخاه تذارق [2] لأبيه وأمه فخـرج نحـوهم فـي ٩٠,٠٠٠ وبعث من يسوقهم حتى نزل صاحب الساقة ثنيـة جلق بأعلى فلسطين. وبعث جرجة بن توذار نحو يزيد بـن أبي سفيان فعسكر بإزائه. وبعث الدراقص فاستقبل شرحبيل بن حسنة. وبعث الفيقار بن نسطوس في ٦٠,٠٠٠ نحو أبي

---

([1]) الجابية أصلها في اللغة الحوض الذي يجبى فيه الماء للإبل وهـي قلاية من أعمال دمشق. ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قـرب مرج الصفر في شمال حوران.

([2]) تذارق وهو تيودور (Theodore).

عبيدة فهابهم المسلمون، وكاتبوا عمرا أن ما الرأي؟ فأجابهم: أن الرأي لمثلنا الاجتماع، فإن مثلنا إذا اجتمعنا لا يغلب مـن قلة، فإن تفرقنا لا تقوم كل فرقة بمن استقبلها لكثرة عـدونا. وكتبوا إلى أبي بكر فأجابهم مثل جواب عمـرو. وقـال (إن مثلكم لا يؤتى من قلة إنما يؤتى العشرة آلاف إذا أتـوا مـن تلقاء الذنوب فاحترسوا من الـذنوب واجتمعـوا بـاليرموك متساندين، وليصل كل رجل منكم بأصحابه).

وكان جميع فرق المسلمين ٢١,٠٠٠ سوى عكرمة فـي ٦٠٠٠، وبلغ ذلك هرقل فكتب إلى بطارقته أن اجتمعوا لهم. واجتمع المسلمون باليرموك كما أمرهم أبو بكـر، واجتمـع الروم هناك أيضا وعليهم التذارق وعلـى المقدمـة جرجـة وعلى مجنبتيه الدراقص وباهان، ولم يكن قـد وصـل بعـد إليهم، وعلى الحرب الفيقار، فنزلوا الواقوصة وهـي علـى ضفة اليرموك وصار الوادي خندقا لهم. وإنمـا أراد باهـان وأصحابه أن تستفيق الروم ويأنسـوا بالمسـلمين، وانتقـل المسلمون عن عسكرهم الذي اجتمعوا بـه فنزلـوا علـيهم بحذائهم على طريقهم، وليس للروم طريق إلا عليهم. فقـال عمرو: (أيها الناس أبشروا حصرت والله الروم، وقل ما جاء

محصور بخير) وأقاموا صفرا وشهري ربيع لا يقدرون منهم على شيء من الوادي والخندق، ولا يخرج عليهم الـروم إلا ردهم المسلمون. وكان قتال المسلمين لهم على تساند أميـر على أصحابه لا يجمعهم أحد حتى قدم خالد بن الوليـد مـن العراق؛ وكان القسيسون والرهبان يحرضون الروم.

# مسير خالد بن الوليد من العراق إلى الشام وموقعة اليرموك

- كان اهتمام أبي بكر الصديق بغزو الشام أشد من اهتمامه بالعراق. لذلك عول على استدعاء خالد بن الوليد وأمره بالمسير وأن يأخذ نصف الناس ويستخلف على النصف الآخر المثنى بن حارثة الشيباني، ووعده بأنه إذا انتصر في الشام أعاده إلى العراق. ثم بدأ خالد يختار جيشه فاستأثر خالد بأصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم على المثنى، وترك للمثنى عددهم من أهل القناعة ممن ليس له صحبة. ثم قسم الجند نصفين، فقال المثنى: (واللّه لا أقيم على إنفاذ أمر أبي بكر، وباللّه ما أرجو النصر إلا بأصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم) خرج معه ٩٠٠٠ وصاحبه المثنى إلى حدود الصحراء ليودعه.

سار خالد بجيشه فلما وصل إلى قراقر وهو ماء لكلب أغار على أهلها وأراد أن يسير عنهم مفوزا [١] إلى سوى

---

(١) فاز: قطع امفازة، والمفازة الموضع المهلك، مأخوذ من فوز بالتشديد إذا مات لأنها مظنة الموت.

وهو ماء لبهراء. ثم أتى أراك فصالحوه. ثم أتـى تـدمر[1] ففتحها صلحا، ذلك أنه لما مر بها في طريقه تحصن أهلهـا منه فأحاط بهم من كل وجه فلم يقدر عليهم. ولما أعجزه ذلك وأعجله الرحيل قال: (يا أهل تدمر واللّه لو كنتم في السحاب لا ستنزلناكم ولأظهرنا اللّه عليكم، ولئن أنتم لـم تصـالحوا لأرجعن إليكم إذا انصرفت من وجهي هذا ثم لأدخلن مدينتكم حتى أقتل مقاتليكم وأسبي ذراريكم).

فلما ارتحل عنهم بعثوا إليه وصالحوه على ما أدوه لـه ورضي به. ثم أتى خالد القريتين [2] فقاتلهم فظفر بهم، وغنم وأتى حوارين. فقاتل أهلها وهزمهم وقتل وسبى وأتى قصـم - وهي موضع بالبادية قرب الشام من نـواحي العـراق - فصالحه مشجعة من قضاعة وسار فوصل ثنيـة العقـاب - وهي ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطؤهـا القاصـد مـن

---

(1) تدمر: مدينة قديمة مشهورة في برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام.

(2) القريتين: قرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البرية. قال أبو حذيفة في فتوح الشام "وسار خالد بن الوليد رضي اللّه عنه من تـدمر إلى القريتين وهي التي تدعى حوارين وبينها وبين تدمر مرحلتان" غير أن حوارين قرية أخرى غير القريتين.

دمشق إلى حمص - ناشرا رايته العقاب وهي راية سـوداء. ثم سار فأتى مرج راهط [1] فأغار على غسـان فـي يـوم فصحهم [2] فقاتل وأرسل سرية إلى كنيسة بالغوطة فقتلـوا الرجال وسبوا النساء وساقوا العيال إلى خالد ثن سار حتـى وصل بصرى فقاتل من بها فظفر بهم وصـالحهم، فكانـت بصرى أول مدينة فتحت بالشام على يد خالد وأهل العـراق وبعث بالأخماس إلى أبي بكر، ثم سار فطلع على المسـلمين في ربيع الآخر باليرموك، فوجدهم يقاتلون الروم متسـاندين كل أمير على جيش، وشرحبيل بن حسنة على جيش وعمرو بن العاص على جيش. فقال خالد:

(إن هذا اليوم من أيام اللّه، لا ينبغي فيـه الفخـر، ولا البغي فأخلصوا للّه جهادكم، وتوجهوا للّه تعالى بعملكم، فإن هذا يوم له ما بعده؛ وإن من وراءكم لو يعلم عملكـم حـال

---

(1) مرج راهط بنواحي دمشق وهو أشهر المروج في الشعر فإذا ذكر مرج في الشعر فإياه يعني.

(2) فصح النصارى مثل الفطر وزناً ومعنى وهو الذي يـاكلون فيـه اللحم بعد الصيام وهو عيد لهم مثل عيد المسلمين.

بينكم وبين هذا. فاعلموا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنـه هو الرأي من واليكم).

قالوا فما الرأي؟ قال إن الذي أنتم عليـه أشـد علـى المسلمين مما غشيهم. وأنفع للمشركين من أمـدادهم. ولقـد علمت أن الدنيا فرقت بينكم. والله فهلموا فلنتعاور [1]الإمارة. فليكن علينا بعضنا اليوم؛ وبعضنا غدا، والآخر بعد غد حتى يتامر كلكم؛ ودعوني اليوم عليكم. قالوا: نعم. فأمروه فكـان الفتح على يد خالد. وجاء البريد [2] يومئذ بموت أبي بكـر؛ وخلافة عمر، وتأمير أبي عبيدة على الشـام كلـه؛ وعـزل خالد.فأخذ الكتاب منه وتركه في كنانته، ووكل به من يمنعه أن يخبر الناس بالأمر لئلا يضعفوا إلى أن هزم الله العـدو؛ وقتل منهم نحو ١٠٠,٠٠٠؛ ثم دخل على أبي عبيدة وسـلم عليه بالإمارة.

---

(١) أي نتداول.

(٢) البريد: الرسول وكان اسمه محمِيةُ بن زنَيم.

# التحام الجيشين وانتصار المسلمين

- كان عدد المسلمين كما يأتي:

٢١,٠٠٠ عدد جيش الأمراء الأربعة.

٦,٠٠٠ جيش عكرمة بن أبي جهل.

٩,٠٠٠ جيش خالد بن الوليد.

٣,٠٠٠ فلول جيش خالد بن سعيد.

٣٩,٠٠٠ مجموع جيش المسلمين وقيل ٤٠,٠٠٠.

جيش الروم:

٨٠,٠٠٠ مقيد.

٤٠,٠٠٠ مسلسل للموت.

٤٠,٠٠٠ مربوطين بالعمائم لئلا يفروا.

٨٠,٠٠٠ راجل.

٢٤٠,٠٠٠

ولم يعرف عدد الفرسان في الجيشين.

عبأ خالد جيشه وقسمه إلى أربعين كردوسا [1] وجعـل على كل كردوس رجلا من الشجعان وجعله على ثلاث فرق، قلب وميمنة وميسرة:

- ١ - أبو عبيدة على كراديس القلب.
- ٢ - عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة على كـراديس الميمنة.
- ٣ - يزيد بن أبي سفيان على كراديس الميسرة.

وجعل على الطلائع قباث بن أشيم [2] ، وعلى الأقباض [1] عبد الله ببن مسعود. وكان أبو سفيان يسير فيقف علـى الكراديس فيقول:

---

(١ ) الكرودس: الخيل العظيمة وقيل القطعـة مـن الخيـل العظيمـة والكراديس الفرق منهم. ويقال كردس القائد خيله أي جعلها كتيبة كتيبة

(٢ ) قباث بن أشيم سكن دمشق وشهد بدراً وعقل مجيء الفيل إلى مكة. سأله عبد الله بن مروان "أنت أكبر أم رسول الله صـلى اللّـه عليـه وسلم"؟ فقال: "بل رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أسـن منه". فانظر أيها القارئ إلى أدب قباث وحسن جوابه.

وكان سبب إسلامه أن رجالاً من قومه أتوه فقالوا إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد خرج يدعو الناس إلى دين غير ديننا فقام قباث حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه، قال: إجلـس يـا

(اللّه. اللّه. إنكم ذادة العرب وأنصار الإسـلام. وإنهـم ذادة الروم وأنصار الشرك اللّهم إن هذا يوم من أيامك. اللّهم أنزل نصرك على عبادك).

وقال رجل لخالد: (ما أكثر الروم وأقل المسلمين).

فقال خالد: (ما أقل الروم وأكثر المسلمين. إنمـا تكثـر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال. واللّه لـوددت أن الأشقر"فرسه" براء من توجيه وأنهم أضعفوا في العـدد) وكان فرسه قد حفى في مسيره. ثم أمر خالد عكرمة والقعقاع وكانا على مجنبتي القلب فأنشبا القتال وارتجز القعقاع وقال:

يا ليتني ألقاك في الطراد قبل اعترام الجحفل الوراد

وأنت في حلبتك الوراد

وقال عكرمة:

قد علمت بهكنة الجواري أني على مكرمة أحامي

---

==قباث أنت الذي قلت - لو خرجـت نسـاء قـريش بأكمتهـا ردت محخمداً وأصحابه - قال قباث والذي بعثك بالحق ما تحرك به لسـاني ولا ترمرمت به شفتاي ولا سمعته أذناني وما هو إلا شيء هجس فـي نفسي. أشهد أن لا إلا اللّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً رسـول اللّه وأن ما جئت به حق. (أسد الغابة)

(١) على الأقباض أي على الغنائم لأن القبض ما جمع من الغنائم.



فنشب القتال، والتحم الناس، وتطارد الفرسان، ثم أتـى البريد كما ذكرنا.

# إسلام جرجة

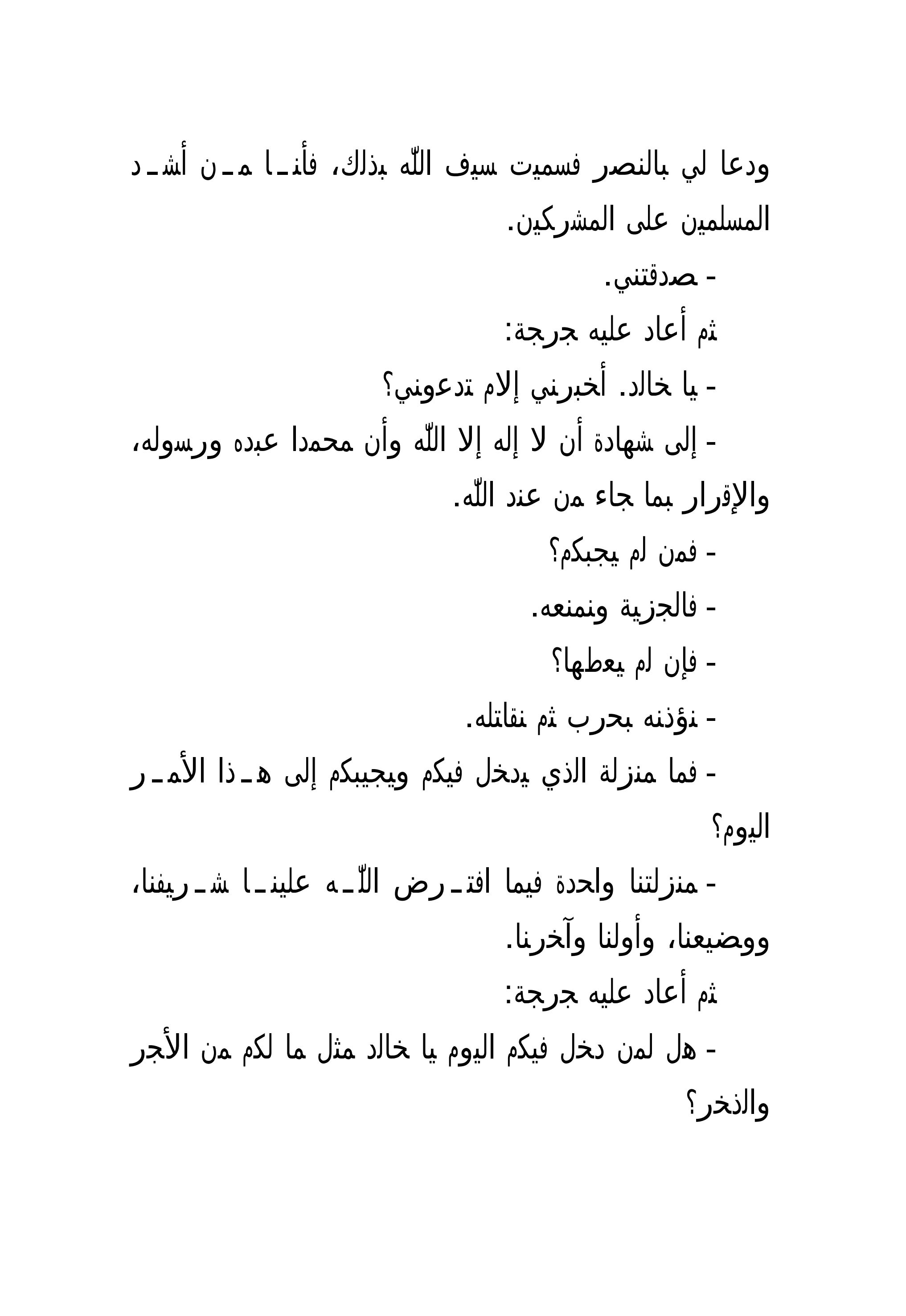
- ثم خرج ( جرجة) حتى كان بين الصفين، ونادى ليخرج إلي خالد فخرج إليه خالد، وأقام أبا عبيدة مكانه فواقفه بين الصفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما، وقد أمن أحدهما صاحبه، فقال جرجة:

(يا خالد أصدقني ولا تكذبني، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع، أنشدك بالله هل أنزل اللّه على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه، فلا تسله على قوم إلا هزمتهم؟).

قال: (لا).

قال: فبم سميت سيف الله؟

قال: إن الله عز وجل بعث فينا نبيه صلى اللّه عليه وسلم فدعانا فنفرنا عنه، ونأينا عنه جميعا، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا باعده وكذبه، فكنت فيمن باعده وكذبه وقاتله، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا وفهدانا به فتبعناه، فقال: أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين،


ودعا لي بالنصر فسميت سيف اللّه بذلك، فأنـا مـن أشـد المسلمين على المشركين.

- صدقتني.

ثم أعاد عليه جرجة:

- يا خالد. أخبرني إلام تدعوني؟

- إلى شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا عبده ورسوله، والإقرار بما جاء من عند اللّه.

- فمن لم يجبكم؟

- فالجزية ونمنعه.

- فإن لم يعطها؟

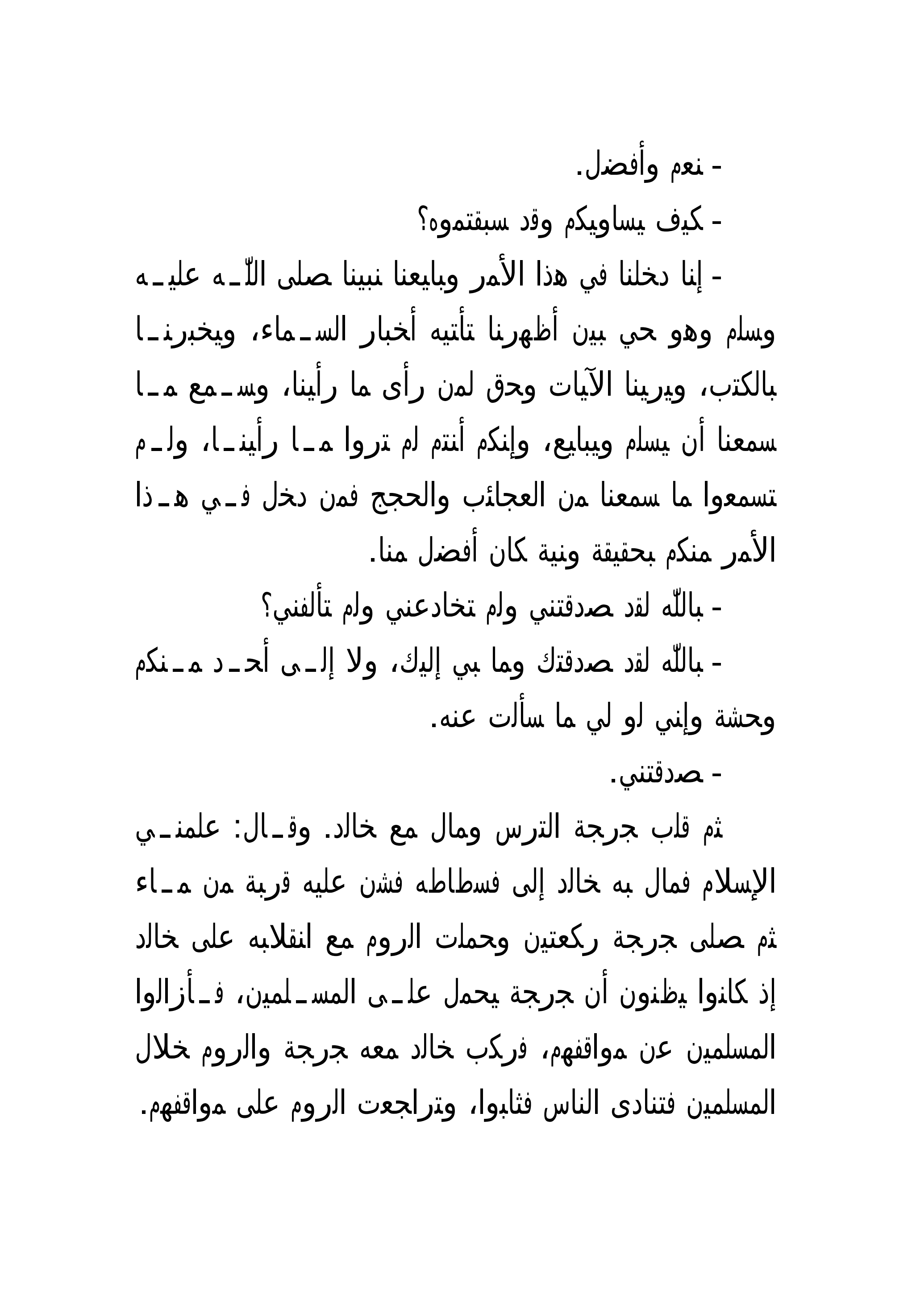
- نؤذنه بحرب ثم نقاتله.

- فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هـذا الأمـر اليوم؟

- منزلتنا واحدة فيما افتـرض اللّـه علينـا شـريفنا، ووضيعنا، وأولنا وآخرنا.

ثم أعاد عليه جرجة:

- هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل ما لكم من الأجر والذخر؟



- نعم وأفضل.

- كيف يساويكم وقد سبقتموه؟

- إنا دخلنا في هذا الأمر وبايعنا نبينا صلى اللّه عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء، ويخبرنا بالكتب، ويرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا.

- باللّه لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني؟

- باللّه لقد صدقتك وما بي إليك، ولا إلى أحد منكم وحشة وإنني لو لي ما سألت عنه.

- صدقتني.

ثم قلب جرجة الترس ومال مع خالد. وقال: علمني الإسلام فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء ثم صلى جرجة ركعتين وحملت الروم مع انقلابه على خالد إذ كانوا يظنون أن جرجة يحمل على المسلمين، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم، فركب خالد معه جرجة والروم خلال المسلمين فتنادى الناس فثابوا، وتراجعت الروم على مواقفهم.

## استمرار القتال.

- زحف خالد حتى تصافح الجيشان بالسيوف، فضـرب فيهم خالد وجرجة من ارتفاع النهار إلى الغروب، ثم أصيب جرجة، ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسـلم عليهما وصلى الناس الأولى والعصـر إيمـاء وتضعضـع الروم، ونهض خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم، ففر الفرسان إلى الصحراء، وبقي المشـاة، فـاقتحم المسـلمون خندقهم فهوى فيها المقترنون بالسلاسل والعمائم وغيـرهم، وقتلوا وقتل الفيقار وأشراف الروم، وكان عدد من تهافت في الخندق ١٢٠,٠٠٠ منهم ٨٠,٠٠٠ مقرن ٤٠,٠٠٠ مطلـق سوى من قتل في المعركة من الفرسان والمشاة.

ولما انهزمت الروم كان هرقل بحمص فنادى بالرحيـل عنها قريبا وجعلها بينه وبين المسلمين، وأمر عليها أميرا كما أمر على دمشق.

## قتلى المسلمين.

- أصيب من المسلمين ٣٠٠٠ منهم:

عكرمة وابنه عمرو. سلمة بن هشام. وعمرو بن سعيد. أبان بن سعيد وأثبت خالد بن سعيد فلا يدري أين مات بعـد. جندب بن عمرو. الطفيل بن عمرو. طليب بن عمير. هشـام بن العاص. عياش بن أبي ربيعة. سعيد بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي. نعيم بن عبد اللّه النحام العدوي. النصـير بن الحارث بن علقمة. أبو الروم بـن عميـر بـن هاشـم العبدري. وأصيبت عين أبي سفيان بن حرب فـي الموقعـة فأخرج السهم من عينه أبو حثمة. وقد قاتل النسـاء ومـنهن جويرية بنت أبي سفيان.

## وقال خالد يومئذ:

(الحمد للّه الذي قضى على أبي بكر بالموت وكان أحب إلي من عمر والحمد للّه الذي ولى عمر وكان أبغض إلي من أبي بكر ثم ألزمني حبه).

وكان عمر ساخطا على خالد في خلافة أبي بكر كلهـا لوقعته بابن نويرة وما كان يعمل في حربه، ولذا كـان أول عمله عزل خالد. وقال لا يلي لي عملا أبدا. ثـم إن عمـر رضي اللّه عنه لما رأى انتصارات خالـد البـاهرة وانقيـاد

المسلمين له في جميع الوقائع واستماتتهم بين يديه خشـي أن يفتتن الناس به وربما تحدثه نفسه فيشق عصـا المسـلمين. وروى أن عمر استدعاه بعد عزله إلى المدينة فعاتبه خالـد. فقال له عمر: (ما عزلتك لريبة فيك ولكن افتتن بك النـاس فخفت أن تفتتن بالناس).

المثنى بالعراق بعد رحيل خالد بن الوليد. النصف الأول من سنة ١٣هـ (آذار مارس - آب أغسطس سنة ٦٣٤ م)

- لم يكن خالد بن الوليد مطمئنا على حالة العراق بعـد أن نقص عدد الجيش فأرسل المرضى والنساء والأطفال إلى بلادهم. وبذل المثنى ما في وسعه بعد رحيل خالد عنه لتقوية ما بينه وبين الفرس من جهة العاصمة وقد تولى أمر الفرس بعد مسير خالد بقليل شهر براز بن أردشـير بـن شـهريار سابور ففكر في طرد المسلمين فجند جيشا قويا مؤلفـا مـن ١٠,٠٠٠ مقاتل تحت قيادة هرمز جاذويه وخرج المثنى من الحيرة نحوه وكان عدد جيشه أقل كثيرا من جـيش الفـرس وعلى مجنبتيه المعنى ومسعود أخواه فأقام ببابل وأقبل هرمز نحوه.

ولما كان ملك الفرس واثقا من النصـر، أرسـل إلـى المثنى كتابا قبيحا قال فيه:

(إني بعثت إليكم جندا من وحش أهل فارس، إنما هـم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك إلا بهم).

## فكتب إليه المثنى:

(إنما أنت أحد رجلين، إما باغ فذلك شر لك وخير لنـا، وإما كاذب فأعظم الكاذبين فضيحة عند اللّه وعنـد النـاس الملوك. وأما الذي يدلنا عليه الرأي فإنكم إنمـا اضـطررتم إليهم فالحمد للّه الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير).

## موقعة بابل صيف سنة١٣هـ - سنة ٦٣٤ م.

- وبعد أن أرسل المثنى هذا الرد إلى شهر براز زحف للقاء هرمز ببابل تاركا بالحيرة قوة صغيرة فـاقتتلوا قتـالا شديدا وكان على جيش الفرس فيـل كبيـر يفـرق جمـوع المسلمين فأحاط به المثنى ومعه ناس وتمكنـوا مـن قتلـه. فانهزم الفرس وتبعهم جيش المثنـى إلـى أبـواب المـدائن (عاصمة الفرس) يقتلونهم. وفي ذلك يقول عبدة بن الطبيـب

السعدي وكان عبدة قد هاجر لمهاجرة حليلة له حتـى شـهد موقعة بابل، فلما آيسته رجع إلى البادية فقال من قصيدة له:

هل حبل خولة بعد البين موصول ** أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

للأحبة أيام تذكرها وللنوى** قبل يوم البين تأويل

حلت خويلة في حي عهدتهم ** دون المدائن فيها الديك والفيل

يقارعون رؤوس العجم ضاحية ** منهم فوارس لا عزل ولا ميل

وقال الفرزدق يعدد بيوتات بكر بن ** وائل وذكر المثنى وقتله الفيل

وبيت المثنى قاتل الفيل عنوة ** ببابل إذ في فارس ملك بابل

## المثنى يطلب النجدة من أبي بكر.

- لما انهزم هرمز جاذويه قتل الجند ملكهم شهر بـراز واختلف أهل فارس وبقي ما دون دجلة بيد المثنى فاضـطر أن يحمي حدودا شاسعة لم تكن جنوده تكفـي لحمايتهـا ثـم اجتمعت الفرس على ابنة كسرى واسمها (دخت زنان) لكنها ما لبثت أن خلعت وتولى الملك سابور بن شهر براز إلا أنه قتل وملكت (آزرمي دخت)(١)، وهذا الخلاف والغدر أديـا

إلى إضعاف السلطة الحاكمة في فارس ولم يكن هنـاك مـا يخشاه المثنى كثيرا ولكنه على كل حال كان في حاجة إلـى حماية الحدود كما قلنا. فكتب إلى أبي بكر يستمده ويسـتأذنه في الاستعانة بمن حسنت توبته من المرتدين لأنهم أنشط في القتال من غيرهم. فلما ابطأ خبر أبي بكـر علـى المثنـى استخاف على المسلمين بشير بن الخصاصـية وسـار إلـى المدينة إلى أبي بكر فلما قدم المدينة وجد أبا بكـر مريضـا فاستدعى أبو بكر عمر وقال له:

(إني لأرجو أن أموت يومي هذا "وذلك يوم الاثنين" وإذا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى ولا يشـغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم، وقد رأيتني متوفى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وما صـنعت ومـا أصيب الخلق بمثله. وباللّه لو أني أني عن أمر اللّـه وأمـر رسوله لخذلنا ولعقبنا فاضطرمت المدينة نارا، وإذا فتح اللّـه على أمراء الشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق فإنهم أهله وولاة أمره وحده وأهل الدراوة بهم والجراءة عليهم).

وقال عمر متأثرا برقة كلام أبي بكر وهو على فـراش الموت: (قد علم أبو بكر أنه يسوءني أن أؤمر خالـدا فلهـذا أمرني أن أرد أصحاب خالد وترك ذكره معهم).

ومات أبو بكر ليلا فدفنه عمر ودعا الناس مع المثنى. [1]

---

(1) Azarmi - Dukht.

# وفاة أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ (٢٣ آب أغسطس سنة ٦٣٤ م)

- توفي أبو بكر رضي اللّه عنه لثمان بقين من جمـادى الآخرة ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء وهو ابـن ثـلاث وستين سنة، وكان قد سمه اليهود في أرز وقيل في حريـرة وهي الحساء، فأكل هو والحارث بنكلدة وقال لأبي بكر أكلنا طعاما مسموما سم سنة فماتا بعده بسنة، وقيل إنـه اغتسـل وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج إلى الصلاة فأمر عمر أن يصلي بالناس[١].

ولما مرض قال له الناس ألا ندعو الطبيب؟ فقال: أتاني وقال لي أنا فاعل ما أريد، فعلموا مراده وسكتوا عنه ثم مات.

---

(١) اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة. عن عبد الرحمن بن أبي بكر.

وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس وابنه عبد الـرحمن [1] وأن يكفن في ثوبيه ويشتري معهما ثوب ثالث. وقال: الحـي أحوج إلى الجديد من الميت إنما هو للمهلة والصديد. غسلت أبا بكر زوجته أسماء ثم خرجت فسألت من حضـرها مـن المهاجرين فقالت إني صائمة وهذا يوم شديد البرد فهل علي غسل؟ قالوا لا[2].

وقد روي أنه اغتسل في يوم بارد فحم فمن ذلك يتبـين أن الجو كان باردا في هذه الأيام فإنه حم بسبب استحمامه في يوم بارد. كذلك غسل في يوم بارد؛ لذلك نرجح سبب وفاتـه كان تأثره بالبرد لا بسبب السم الذي قيل إن اليهود دسوه لـه في الحساء؛ لأن حادثة السم المزعومة كانت قبل وفاته بسنة. ودفن ليلة وفاته وصلى عليه عمر بن الخطاب وكبـر عليـه أربعا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبـر والمنبر، ودخل قبره ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وطلحة

---

([1]) وفي نزهة النواظر أن الذي غسله علي رضي الله عنه، وهذا غير ثابت، والصواب أن أسماء زوجته هي التي غسلته

([2]) راجع طبقات ابن سعد "أبو بكر".

وجعل رأسه عند كتفي النبي صلى اللّه عليه وسلم وألصـقوا لحده بلحد النبي صلى اللّه عليه وسلم وجعل قبره مثل قبـره مسطحا وناحت عليه عائشة والنساء فنهاهن عن البكاء عمر فأبين فقال لهشام بن الوليد ادخل فأخرج علي ابنة أبي قحافة. فأخرج إليه أم فروة بنت أبي قحافة أخت أبي بكـر فعلاهـا بالدرة (السوط) ضربات فتفرق النوح حين سمعن ذلك. وكان آخر ما تكلم به (توفني مسلما وألحقني بالصالحين) وكانـت عائشة رضي اللّه عنها تمرضه.

# أبو بكر يستشير أصحابه في عمر

- عقد أبو بكر في مرضه الذي توفي فيـه لعمـر بـن الخطاب عقد الخلافة من بعده، ولما أراد العقد له دعا عبـد الرحمن بن عوف. فقال: أخبرني عن عمر. فقال يا خليفـة رسول اللّه: هو واللّه أفضل من رأيك فيه من رجل، ولكـن فيه غلظة. فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رقيقا ولو أفضـى الأمر إليه لترك كثيرا مما هو عليه. ويا أبا محمد قد رمقتـه فرأيتني إذا غضبت على الرجل في الشيء، أراني الرضـا عنه، وإذا لنت أراني الشدة عليه، لا تذكر يا أبا محمد ممـا قلت لك شيئا. قال: نعم.

ثم دعا عثمان بن عفان، فقال: يا أبا عبد اللّه أخبرنـي عن عمر. قال: أنت أخبر به. فقال أبو بكر: علي ذلك يا أبا عبد الرحمن. قال: اللّهم علمي به أن سـريرته خيـر مـن علانيته، وأن ليس فينا مثله.

قال أبو بكر: يا أبا عبد اللّه لا تذكر مما ذكـرت لـك شيئا. قال: أفعل. فقال أبو بكر: لو تركته ما عـدوتك ومـا أدري لعله تاركه، والخيرة له أن لا يلي من أمـوركم شـيئا

ولوددت أني كنت خلوا من أموركم، وأني كنت فيمن مضى من سلفكم. يا أبا عبد اللّه لا تذكر مما قلت لك من أمر عمر، ولا مما دعوتك له شيئا.

ودخل على أبي بكر طلحة بن عبيد اللّه. فقال: استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معـه، فكيف إذا خلا بهم، وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيتك؟ فقال أبو بكر: وكان مضطجعا أجلسوني. فأجلسوه. فقال لطلحـة: (أباللّه تفرقني أو باللّه تخوفني، إذا لقيت اللّه ربي فسـاءلني قلت: استخلفت على أهلك خير أهلك)؟

وأشرف أبو بكر على الناس من حظيرته وأسماء بنـت عميس ممسكته موشومة اليدين وهو يقول:

(أترضون بمن أستخلف عليكم فإني واللّه ما ألوت مـن جهد الرأي، ولا وليت ذا قرابة، وإني قد استخلفت عمر بـن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا فقالوا: (سمعنا وأطعنا).

قال الواقدي: دعا أبو بكر عثمان خاليا. فقال له أكتـب: (بسم اللّه الرحمن الرحيم. هذا ما عهد به أبو بكر بـن أبـي قحافة إلى المسلمين. أما بعد) ثم أغمي عليه فـذهب عنـه. فكتب عثمان: (أما بعد فإني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب

ولم آلكم خيرا) ثم أفاق أبو بكر فقال: (اقرأ علي) فقرأ عليـه فكبر أبو بكر وقال:

(أراك خفت أن يختلف الناس إن مت في غشيتي). قال: نعم. قال: (جزاك اللّه خيرا عن الإسلام وأهله) وأقرها أبـو بكر رضي اللّه عنه من هذا الموضع. فأبو بكر كـان يـرى ويعتقد أن عمر بن الخطاب خير من يتولى الخلافة بعده مع شدته. والحقيقة أنه كان كذلك.

وصية أبي بكر لعمر بن الخطاب.

- ثم أحضر أبو بكر عمر فقال له:

(إني قد استخلفتك على أصحاب رسول اللّه صلى اللّـه عليه وسلم) وأوصاه بتقوى اللّه ثم قال:

(يا عمر إن للّه حقا بالليل ولا يقبلـه بالنهـار، وحقـا بالنهار ولا يقبله بالليل وأنه لا يقبـل نافلـة حتـى تـؤدي الفريضة. ألم تر يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق، وثقله علـيهم وحـق لميـزان لا يوضع فيه غدا إلا حق أن يكون ثقيلا. ألم تر يا عمر إنمـا خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطـل وخفته عليهم. وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون

خفيفا. ألم تر يا عمر إنما نزلت آية الرخاء مع الشدة، وآيـة الشدة مع آية الرخاء. ليكون المؤمن راغبا راهبا، لا يرغب رغبة يتمنى فيها على اللّه ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه. ألم تر يا عمر إنما ذكر اللّه أهـل النـار بأسـوأ أعمالهم. فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو ألا أمون مـنهم وإنـه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سيئ فإذا ذكرتهم قلت أين عملي من أعمالهم، فإذا حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من حاضر من المـوت ولست بمعجزة).

خطبة علي في تأبين أبي بكر.

- لما سمع علي رضي اللّه عنه خبر وفاة أبي بكر جاء باكيا مسرعا مسترجعا حتى وقف بالباب وهو يقول:

رحمك اللّه يا أبا بكر كنت واللّه أول القـوم إسـلاما، وأخلقهم إيمانا وأشدهم يقينا، وأعظمهم غنى، وأحفظهم علـى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وأحـدبهم علـى الإسـلام، وأحماهم عن أهله، وأنسبهم برسول اللّـه خلقـا، وفضـلا، وهديا، وصمتا، فجزاك اللّه عن الإسلام، وعن رسول اللّـه، وعن المسلمين خيرا، صدقت رسول اللّه حين كذبه النـاس

وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، وسماك اللّه في كتابه صديقا. فقال: (والذي جاءك بالصدق وصدق به) يريد محمدا ويريدك. كنت واللّه للإسلام حصنا، وللكافرين ناكبا، لم تضال حجتك ولم تضعف بصيرتك، ولـم تجـبن نفسـك كالجبل لا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف، كنت كما قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ضعيفا في بدنك، قويـا في دينك، متواضعا في نفسك، عظيما عند اللّه، جلـيلا فـي الأرض كبيرا عند المؤمنين، لم يكن لأحد عندك مطمـع ولا هوى، فالضعيف عندك قوي والقوي عندك ضـعيف، حتـى تأخذ الحق من القوي وتعطيه للضعيف، فـلا حرمنـا اللّـه أجرك، ولا أضلنا بعدك.

خطبة ابنته عائشة في تأبينه.

- نضر اللّه يا أبت وجهك، وشكر لك صالح سعيك، فلقد كنت للدنيا مذلا بإدبارك عنها، وللآخرة معزا بإقبالك عليها، ولئن كان أعظم المصائب بعد رسول اللّه صلى اللّـه عليـه وسلم رزؤك، وأكبر الأحداث بعده فقدك، إن كتاب اللّه عـز وجل ليعدنا بالصبر عنك حسن العوض، وأنا منتجزة من اللّه موعده فيك بالصبر عنك، ومستعينة كثرة الاستغفار لك، فسلم

اللّه عليك، توديع غير قالية لحياتك، ولا زارية على القضاء فيك.

## اعتراف أبي بكر.

- قال أبو بكر: إني لا آسي على شيء مـن الـدنيا إلا على ثلاث فعلتهن وددت لو أني تركتهن. وثـلاث تـركتهن وددت لو أني فعلتهن وثلاث وددت أني سألت عنهن رسـول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

فأما الثلاث اللاتي وددت أني تركتهن فوددت أنـي لـم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قـد غلقـوه علـى الحرب، ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة السلمى [1] وأني

---

[1] (١) واسمه إياس بن عبد ياليل. والسبب الذي دعاه أبا بكـر إلـى حرقه وهو أنه جاء إليه فقال أعني بالسلاح أقاتل به أهل الردة فأعطاه سلاحاً وأمره إمرة فخالف إلى المسلمين وخرج حتـى نـزل بـالجواء وبعث نجبة بن أبي الميثاء من بني الشريد وأمره بالمسلمين فشن الغارة على كل مسلم في سليم وعامر وهوازن فبلغ ذلك أبا بكر فأرسل إلـى طريفة بن حاجز فأمره أن يجمع له ويسير إليه وبعث إليه عبد اللّه بن قيس الجاسي عوناً غنهضا إليه وطلباه فلاذ منهما ثم لقياه على الجـواء فاقتتلوا وقتل نجبة وهرب الفجاءة فلحقه طريفة فأسره ثم بعث به إلـى

كنت قتلته سريحا أو خليته نجيحا. ووددت أني يـوم سـقيفة بني ساعدة كنت قد قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين (يريد عمر وأبا عبيدة) فكان أحدهما أميرا وكنت وزيرا.

أما اللاتي تركتهن فوددت أني يوم أتيت بالأشعث بـن قيس أسيرا كنت ضربت عنقه فإنه تخيل إلي أنه لا يرى شرا إلا أعان عليه. ووددت أني حين سيرت خالد بن الوليد إلـى أهل الردة كنت أقمت بذي القصة فإن ظفر المسلمون ظفروا وإن هزموا كنت بصدد لقاء أو مدد، أو وددت أني كنـت إذ وجهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجهـت عمـر بـن الخطاب إلى العراق فكنت بسطت يدي كلتيهما في سبيل اللّه ومد يديه.

ووددت أني كنت سألت رسول اللّه صلى اللّـه عليـه وسلم لمن هذا الأمر فلا ينازعه أحد، ووددت أني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب، ووددت أني كنت سـألته عن ميراث ابنة الأخ والعمة فإن في نفسي منهما شيئا.

---

==أبي بكر. فلما قدم أمر أبو بكر أن توقد له نار في مصلى المدينة ثم رمى به مقموطاً. فهذا الذب ندم أبو بكر على حرقه وود لـو قتلـه أو خلى سبيله.

# عمل أبي بكر ومنزله مدة خلافته

- كان أبو بكر قبل أن يشتغل بأمور المسـلمين تـاجرا وكان منزله بالسنح عند زوجته حبيبة (والسنح من ضـواحي المدينة) ثم تحول إلى المدينة بعدما بويع له بستة أشهر وكان يغدو على رجليه إلى المدينة وربما ركب على فرس وعليـه إزار ورداء ممشق فيوافي المدينة، فيصلي الصلوات بالناس فإذا صلى العشاء رجع إلى أهله بالسنح، فكـان إذا حضـر صلى بالناس وإذا لـم يحضـر صـلى بهـم عمـر بـن الخطاب،فكان يقيم يوم الجمعة صدر النهار بالسـنح يصـبغ رأسه ولحيته ثم يروح لقدر يوم الجمعة فيجمع الناس وكـان رجلا تاجرا، فكان يغدو كل يوم إلى السوق فيبيـع ويبتـاع، وكانت له قطعة غنم تروح عليه وربما خرج هو بنفسه فيهـا وربما كفيها فرعيت له، وكان يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحي (الآن لا تحلب لنا منـائح دارنا) فسمعها أبو بكر فقال: (بلى لعمري لأحلبنها لكم وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه من خلق كنت عليه) فكان يحلب لهم.

ثم نظر أبو بكر في أمره فقال: (لا واللّه ما تصلح أمور الناس التجارة وما يصلحهم إلا التفرغ لهم والنظر في شأنهم ولا بد لعيالي مما يصلحهم) فترك التجارة وأنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوما بيوم ويحج ويعتمر؛ وكان الذي فرضوا له في كل سنة ٦٠٠٠ درهم فلما حضرته الوفاة؛ قال: (ردوا ما عندنا من مال المسلمين فإنني لا أصيب من هذا المال شيئا، وإن أرضي التي بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم) فدفع ذلك إلى عمر ودفع إليه بعيرا وعبدا وقطيفة ما تساوي خمسة دراهم. فقال عمر: (لقد أتعب من بعده).

وحسبوا ما أنفقه على أهله من بيت المال فوجدوه ٨٠٠٠ درهم في ولايته وكان يوزع الصدقات على الفقراء وعلى تجهيز الجيوش. كذلك كان يوزع غنائم الحرب على الناس حال وصولها أو في صباح اليوم التالي ولم يكن له حرس يحرسونه وكان يستشير عمر بن الخطاب.

## بيت مال المسلمين.

- كان لأبي بكر الصديق بيت مال بالسنح معروف ليس يحرسه أحد فقيل له: يا خليفة رسول اللّه ألا تجعل على بيت المال من يحرسه؟ فقال: لا يخاف عليه. فقيل له: لم؟ قـال: عليه قفل. وكان يعطي ما فيه حتى لا يبقى فيه شيء. فلمـا تحول أبو بكر إلى المدينة حوله فجعل بيت ماله فـي الـدار التي كان فيها وكان يسوي بين الناس في القسم: الحر والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير فيه سواء.

ولما توفي ودفن دعا عمر بن الخطاب الأمناء ودخـل بهم بيت المال ومعه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه دينارا ولا درهمـا فترحموا على أبي بكر. وكان بالمدينـة وزان علـى عهـد رسول اللّه وكان يزن ما كان عند أبي بكر من مـال فسـئل الوزان: كم بلغ ذلك المال الذي ورد على أبي بكـر؟ فقـال: مائتي ألف.

## حج أبي بكر.

- استعمل أبو بكر على الحج سنة ١١هـ ـ عمـر بـن الخطاب، ثم اعتمر أبو بكر في رجب سنة ١٢هـ، ثم رجع إلى المدينة. فلما كان وقت الحج سنة ١٢هـ حج أبو بكـر بالناس تلك السنة وأفرد الحج واستخلف على المدينة عثمـان بن عفان.

## جمع القرآن.

- كان أبو بكر الصديق أعلم الصـحابة بـالقرآن، لأن رسول اللّه قدمه إماما للصلاة بالصحابة مع قوله: (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب اللّه) وقال: (لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكـر أن يؤمهم غيره).

ولما رأى كثرة من قتل من كبارالصحابة باليمامة أمـر بجمع القرآن من أفواه الرجال، وجريد النخل والجلود، وترك

ذلك المكتوب عند حفصة بنت عمر رضي اللّه عنها زوجـة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم [1].

جاء في صحيح البخاري عن زيد بن ثابت قال: (أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر. فقال: إن عمـر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالنـاس، وإنـي لأخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن يجمعوه، وإني لأرى أن يجمع القرآن. قال أبو بكر: فقلت لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول اللّه صـلى اللّه عليه وسلم؟ فقال عمر: هو واللّه خير. فلم يـزل عمـر يراجعني فيه حتى شرح اللّه لذلك صدري فرأيت الذي رأى عمر. قال زيد: وعمر عنده جالس لا يتكلم. فقال أبو بكـر: إنك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فتتبع القرآن فأجمعه. فواللّه لو كلفنـي نقل جبل ما كان أثقل علي مما كلفني به من جمـع القـرآن. فقلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول اللّه صلى اللّه عليـه

---

(1) جمع القرآن على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيـد - رواه البخاري.

وسلم؟ فقال أبو بكر: هو واللّه خير. فلم أزل أراجعه حتـى شرح اللّه صدري للذي شرح صدر أبي بكر وعمر. فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لـم أجدهما مع غيره {لقد جاءكم رسول من أنفسكم} إلى آخرها. فكانت الصحف التي فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه اللّه ثم عند عمر حتى توفاه اللّه ثم عند حفصة بنت عمر رضي اللّه عنها).

# قضاته وكتابه وعماله

- لما ولي أبو بكر قال أبو عبيدة: أنا أكفيك بيت المال. وقال له عمر: أنا أكفيك القضاء فمكث عمر سـنة لا يأتيـه رجلان.

وكان يكتب له علي بن أبي طالب، وزيد بـن ثابـت، وعثمان بن عفان، فإن غابوا كان يكتب له من حضر.

وكان عامله على مكة (عتاب بن أسيد): وقد أسلم عتاب يوم الفتح، واستعمله رسول اللّه على مكة حين انصرف عنه بعد الفتح وسنه يومئذ عشرون سنة. قيل إنه توفي في اليـوم الذي توفي فيه أبو بكر. وكان رجلا صالحا فاضلا.

وكان على الطائف (عثمان بن أبي العاص): اسـتعمله رسول اللّه على الطائف وأقره أبو بكر وعمر رضـي اللّـه عنهما. روى له عن رسول اللّه تسعة أحاديث. روى مسـلم ثلاثة منها، واستعمله عمر على عمان والبحرين ثـم نـزل البصرة. توفي في خلافة معاوية، وله عقب كثير أشراف.

وكان على صنعاء (المهاجر بن أمية) وهو أخو أم سلمة أم المؤمنين. وله في قتال المرتدين باليمن آثار كثيـرة مـر ذكرها.

وكان على حضرموت (زياد بن لبيد الأنصاري) أقـام مع رسول اللّه بمكة حتى هاجر فكان يقـال لـه مهـاجري أنصاري. شهد العقبة وبدرا وأحدا، والخندق والمشاهد كلهـا مع رسول اللّه، واستعمله رسول اللّه على حضرموت.

وعلى خولان [1] (يعلى بن أمية) ويقال له يعلى بن منية وهي أمه، أسلم يوم فتح مكة وشهد حنينا والطائف وتبوك مع رسول اللّه، روى له عن رسـول اللّـه ٢٨ حـديثا. اتفـق البخاري ومسلم على ثلاث منها وقتل بصفين سنة ٣٧ هـ.

وعلى زبيد ورمع [2] (أبو موسى الأشعري): قدم علـى رسول اللّه بمكة قبل هجرته إلى المدينة فأسلم، ثم هاجر إلى الحبشة ثم هاجر إلى رسول اللّه مع أصحاب السفينتين بعـد فتح خيبر، فأسهم له منها ولم يسهم منها لأحـد غـاب عـن فتحها غيره. وكان حسن الصوت، استعمله رسول اللّه علـى

---

(١) خولان: مخلاف من مخاليف اليمن.

(٢) زبيد: واد باليمن ورمع: موضع باليمن وقيل هو جبل باليمن.

زبيد، وعدن، وساحل اليمن. روي له عن رسول اللّـه ٣٦٠ حديثا. اتفق البخاري ومسلم منها على ٥٠ وانفرد البخـاري بخمسة عشر. توفي بمكة، وقيل بالكوفة سنة ٥٠هـ وهو ابن ٦٣ سنة.

وعلى الجند (معاذ بن جبل): كان معاذا فقيهـا فاضـلا صالحا. أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة مع السـبعين مـن الأنصار ثم شهد بدرا وأحدا والخندق والمشـاهد كلهـا مـع رسول اللّه، روي له عن رسول اللّـه ١٥٧ حـديثا اتفـق البخاري ومسلم على حديثين منها، وانفرد البخـاري بثلاثـة ومسلم بحديث. توفي في عمواس بالشام سنة ١٨هـ وهـو ابن ٣٣ سنة وهو من الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول اللّه، أرسله رسول اللّه إلى اليمن يدعوه إلى الإسـلام وشرائعه. وهو أحد الذين كانوا يفتون على عهد رسول اللّه.

وعلى البحرين (العلاء بـن الحضـرمي): ولاه النبـي صلى اللّه عليه وسلم البحرين وتوفي النبي صلى اللّه عليـه وسلم وهو عليها فأقره أبو بكر ثم عمر. توفي سنة ١٤ واليا عليها، وكان مجاب الدعوة وخاض البحر بكلمـات قـالهن. وكان له أثر عظيم في قتال أهل الردة في البحرين كما تقدم.

وبعث (جرير بن عبد اللّه) إلى نجران. روي له عـن رسول اللّه ١٠٠ حديث اتفق البخاري ومسـلم منهـا علـى ثمانية وانفرد البخاري بحديث ومسلم بستة. قدم على النبـي صلى اللّه عليه وسلم سنة عشر من الهجرة في شهر رمضان فبايعه وأسلم. وكان عمر بن الخطاب يقول (جرير يوسـف هذه الأمة) لحسنه وكان طويلا يصل إلى سنام البعير يخضب لحيته بزعفران بالليل ويغسلها إذا أصـبح، واعتـزل عليـا ومعاوية وأقام بالجزيرة ونواحيها حتى توفي سنة ٥٤هـ.

وبعث (عبد اللّه بن ثوب) إلى جرش [١] وهو عبد اللّـه بن ثوب أبو مسلم الخولاني من كبار التابعين وكان فاضـلا ناسكا له فضائل كثيرة أسلم قبل وفاة النبي صلى اللّه عليـه وسلم. بعث الأسود بن قيس بن ذي الخمار الذي تنبأ بـاليمن إلى أبي مسلم فلما جاءه قال: أتشهد أني رسول اللّه؟ قال: ما أسمع. قال: أتشهد أن محمدا رسول اللّه؟ قال: نعم. فرد ذلك عليه وفي كل مرة يقول مثل قوله الأول فأمر به فألقي فـي نار عظيمة فلم تضره، فقيل له أنفيه عنك وإلا أفسد عليك من اتبعك. قال فأمره بالرحيل فأتى المدينة وقد قبض النبي صلى

---

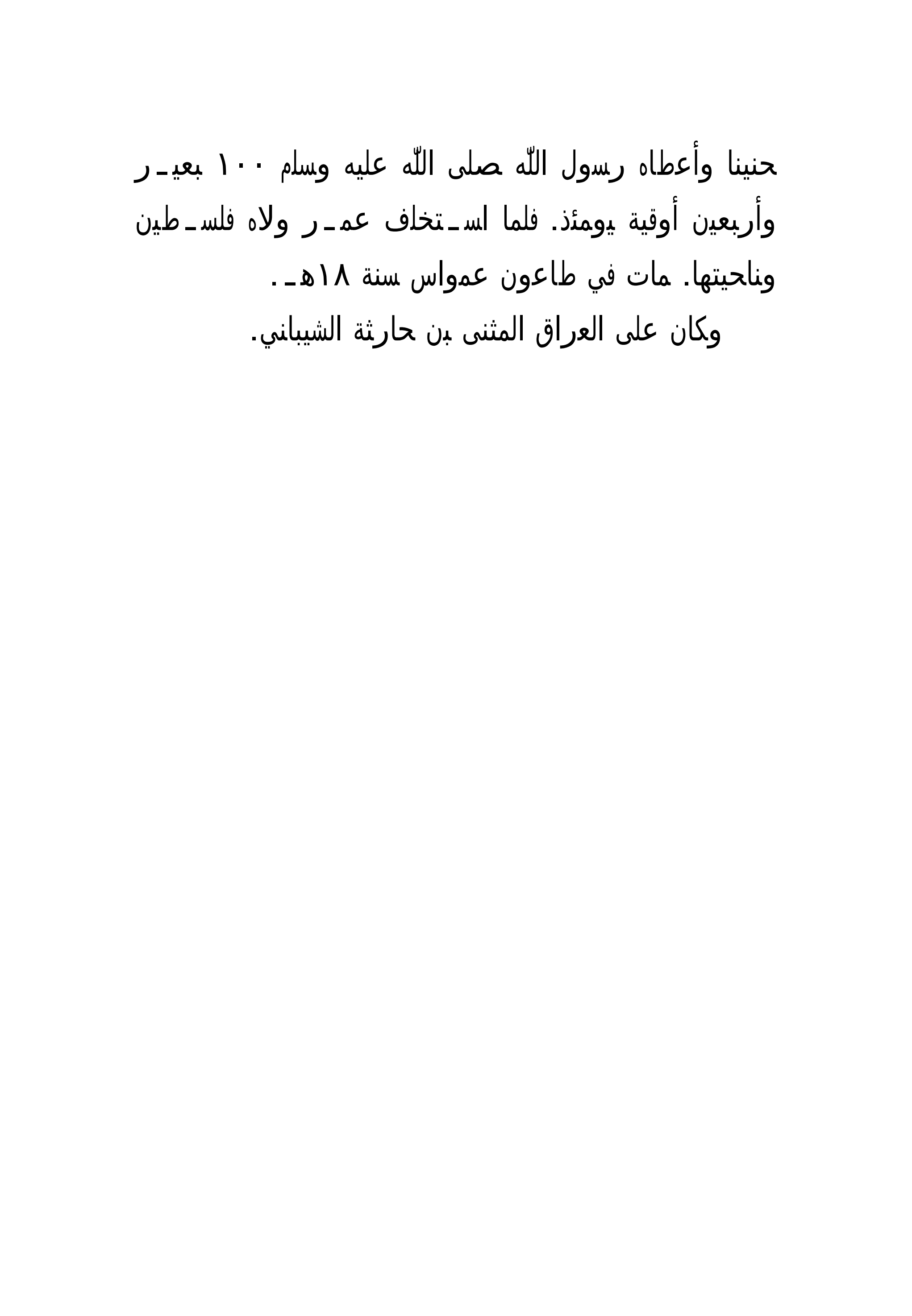
(١) جرش: من مخاليف اليمن جهة مكة.

اللّه عليه وسلم واستخاف أبو بكر فأناخ أبو مسـلم راحلتـه بباب المسجد وبصر به عمر بن الخطاب فقام إليـه. فقـال: ممن الرجل؟ قال: من أهل اليمن. قال: ما فعل الرجل الـذي أحرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذاك عبد اللّه بـن ثـوب. قـال: أنشدك اللّه أنت هو؟ قال: اللّهم نعم. فاعتنقه عمر وبكى ثـم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين أبي بكر وقال: الحمد للّه الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد من فعل به ما فعـل بإبراهيم خليل اللّه صلى اللّه عليه وسلم "أسد الغابة".

وبعث (عياض بن غنم) إلى دومة الجندل. أسلم عياض قبل الحديبية وشهدها، وكان صالحا فاضلا جـوادا. وكـان يسمى (زاد الركاب) يطعم الناس زاده فإذا نفد الزاد نحر لهم بعيره. توفي بالشام سنة ٢٠هـ وهو ابن ٦٠ سنة.

وكان بالشام (أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة) قديما وأخواه لأمه جنادة وجابر. هاجروا إلى الحبشة ثم إلـى المدينة. توفي في طاعون عمواس سنة ١٨هـ وله ٦٧ سنة. أصيب هو وأبو عبيدة رضي اللّه عنهما في يوم أحد.

وكان بالشام أيضا عمرو بن العاص ويزيد بـن أبـي سفيان. وكان يقال ليزيد يزيد الخير. أسلم يوم الفتح وشـهد



حنينا وأعطاه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ١٠٠ بعيـر وأربعين أوقية يومئذ. فلما اسـتخلف عمـر ولاه فلسـطين وناحيتها. مات في طاعون عمواس سنة ١٨هـ.

وكان على العراق المثنى بن حارثة الشيباني.

# خاتم أبي بكر

- كان نقش خاتمه: (نعم القادر اللّه).

حكم أبي بكر وكلماته

- ١ - احرص على الموت توهب لك الحياة.
- ٢ - إذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشـورة ولا تحزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك.
- ٣ - إذا فاتك خير فأدركه وإن أدركك فاسبقه.
- ٤ - أربع من كن فيه كان من خيار عباد اللّه: مـن فـرح بالتائب، واستغفر للمـذنب، ودعـا المـدبر، وأعـان المحسن.
- ٥ - أصلح نفسك يصلح لك الناس.
- ٦ - أكيس الكيس التقوى، وأحمق الحمق الفجور، وأصدق الصدق الأمانة، وأكذب الكذب الخيانة.
- ٧ - إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ لـه بحقـه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق.
- ٨ - إن اللّه قرن وعده بوعيده ليكون العبد راغبا راهبا.
- ٩ - إن اللّه يرى من باطنك ما يرى من ظاهرك.

- ١٠ - إن العبد إذا دخله العجب بشيء من زينة الدنيا مقته اللّه تعالى حتى يفارق تلك الزينة.
- ١١ - إن عليك من اللّه عيونا تراك.
- ١٢ - إن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا.
- ١٣ - إن كل من لم يهده اللّه ضال. وكل من لم يعافه اللّه مبتلي. وكل من لم يعنه اللّه مخذول. فمن هدى اللّه كان مهتديا. ومن أضله اللّه كان ضالا.
- ١٤ - ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي والنكث والمكر.
- ١٥ - حق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلا، وحـ ث لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفا.
- ١٦ - خير الخصلتين لك أبغضهما إليك.
- ١٧ - ذل قوم أسندوا رأيهم إلى امرأة.
- ١٨ - رحم اللّه أمرأ أعان أخاه بنفسه.
- ١٩ - صنائع المعروف تقي مصارع السوء.
- ٢٠ - لا خير في خير بعده نار، ولا شر في شـ ر بعـ ده الجنة.
- ٢١ - لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا عمل لمن نية له.

- ٢٢ - لا يكونن قولك لغوا في عفو ولا عقوبة.

- ٢٣ - ليتني كنت شجرة تعضد ثم تؤكل.

- ٢٤ - ليست مع العزاء مصيبة.

- ٢٥ - الموت أهون مما بعده وأشد مما قبله.

وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول:

- ٢٦ - (هذا الذي أوردني الموارد).

- ٢٧ - قال رجل لأبي بكر رضي اللّه عنه: (واللّه لأسـبنك سبا يدخل القبر معك)، فقال: (معك يدخل لا معي).

هذه بعض كلمات أبي بكر الصديق التي عثرنا عليهـا. ومع ذلك فإنه كان قليل الكلام، طويل الصمت، كثير العبادة. كذلك لم يرو عنه من الأحاديث إلا ٤٢ حـديثا مـع تقـدم صحبته وملازمته لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم. وعندي أن ذلك لإيثاره الصمت وشدة الاحتياط، فإنه كان يمسك لسانه ويقول: (هذا الذي أوردني الموارد) فهل يعتبر بذلك الـذين يؤثرون الكلام على الصمت والقول على العمل؟؟

# خاتمة في حياة خالد بن الوليد (سيف اللّه)

- خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمرو بـن العاص بن مخزوم، أبو سليمان وقيل أبو الوليد. أمـه لبابـة الصغرى وهي بنت الحارث بن حزن الهلالية وهـي أخـت ميمونة بنت الحارث زوج رسول اللّه وأخت لبابة الكبـرى زوج العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى اللّه عليه وسلم وهو ابن خالة أولاد العباس بن عبد المطلب الذين من لبابة.

هو البطل المشهور والفارس المأثور. صاحب الفتوحات العظيمة والغزوات الكثيرة، وأشهر الفاتحين في الإسلام.

كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، وكان إليـه القبـة وأعنة الخيل في الجاهلية. أما القبة فكانوا يضربونها يجمعون فيها ما يجهزون به الجيش وأما الأعنة فإنه كان المقدم على خيل قريش في الحرب أي أنه كان قائد فرسانهم.

حارب المسلمين في غزوة أحد قبل إسلامه. ولما خالف الرماة أمر رسول اللّه وبرحوا مكانهم طمعا فـي الغنيمـة، ورأى خالد خلاء الجبل الذي كان فيه الرماة وقلة أهله أتـى

من خاف المسلمين وكر عليهم بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل، فوقع الاختلاط فيهم إلا أن كفار قريش لم يجنوا ثمـار انتصارهم فلم يحاولوا الهجوم على المدينة بل قفلوا راجعين إلى مكة.

وكان خالد من الذين يناوشون المسلمين هو وعمرو بن العاص غي غزوة الخندق وكان قائدا لفرسان قـريش فـي الحديبية.

## إسلامه

- كان خبر إسلام خالد أن عمرو بن العاص لما عاد من الحبشة بعد مقابلة النجاشي لقي خالد بن الوليد وهو مقبل من مكة. قال عمرو بن العاص: (فقلت له أين يا أبا سليمان؟ قال واللّه لقد استقام الميسم "أي تبين الطريق وظهر الأمـر" وأن الرجل لنبي. أذهب واللّه فأسلم فحتى متى؟ قلت: واللّـه مـا جئت إلا لأسلم فقدمنا المدينة على رسول اللّه فتقدم خالد بـن الوليد).

قدم خالد هو وعمرو بن العاص وعثمـان بـن طلحـة العبدري على رسول اللّه فلما رآهم صلى اللّه عليه وسلم قال

لأصحابه (رمتكم مكة بأفلاذ كبدها) وذلك لرفعة شأنهم في قريش.

قال خالد بن الوليد (لما أراد اللّه عز وجل بي ما أراد من الخير، قذف في قلبي الإسلام وحضر لي رشدي وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد فليس موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أني موضع في غير شيء وأن محمدا يظهر. فلما جاء لعمرة القضية تغيبت ولم أشهد دخوله وكان أخي الوليد بن الوليد دخل معه فطلبني فلم يجدني فكتب إلي كتابا فإذا فيه:

"بسم اللّه الرحمن الرحيم. أما بعد فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك، أو مثل الإسلام يجهله أحد؟ قد سألني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عنك. فقال أين خالد؟ فقلت يأتي اللّه به. فقال: ما مثله يجهل الإسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره. فاستدرك يا أخي قد فاتك من مواطن صالحة".

فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام وسرتني مقالة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم،

ورأيت في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة. فلما أجمعت على الخروج إلى المدينة لقيت صفوان بن أمية فقلت: يا أبا وهب أما ترى أن محمدا ظهـر على العرب والعجم؟ فلو قدمنا عليه واتبعناه فإن شرفه شرف لنا؟ فقال: لو لم يبق غيري ما اتبعته أبدا. فقلت هذا رجل قتل أخوه وأبوه ببدر. فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذي قال صفوان. قلت فاكتم ذكر ما قلت لك. قال لا أذكره. ثم لقيت عثمان بن طلحة الحجبـي. قلت هذا لي صديق فأردت أن أذكر له. ثم ذكرت قتل أبيـه طلحة وعمه عثمان وإخوتـه الأربعـة: مسـافع والجـلاس والحارث وكلاب، فإنهم قتلوا كلهم يومئذ يوم أحد فكرهت أن أذكر له. ثم قلت له: إنما نحن بمنزلة ثعلب في حجـر لـو صب فيه ذنوب من الماء لخرج. ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فأسرع الإجابة وواعدني إن سبقني أقام بمحل كـذا وإن سبقته إليه انتظرته فلم يطلع الفجر حتى التقينـا فعـدونا حتى انتهينا إلى الهدة "اسم محل" فوجدنا عمرو بن العـاص بها. فقال: مرحبا بالقوم فقلنا وبك، قال أين مسـيركم؟ قلنـا الدخول في الإسلام فقال: وذاك الذي أقدمني).

فوصلوا المدينة وقال خالد (فلبست من صالح ثيابي ثـم عمدت إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فلقيت أخي فقال أسرع فإن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قد سر بقـدومكم وهو ينتظركم، فأسرعنا المشي فأطلعت عليه فما زال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يبتسم حتى وقفت عليـه. فسـلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا اللّه وأنك رسول اللّه قال: "الحمد للّه الذي هـداك، وقد كنت أرى لك عقلا رجوت أل يسلمك إلا إلـى خيـر"، قلت: يا رسول اللّه ادع اللّه يغفر تلك المواطن التـي كنـت أشهدها عليك. فقال صلى اللّه عليه وسلم: "الإسلام يجب مـا كان قبله" وتقدم عثمان بن طلحة وعمرو فأسلما وقـد شـهد رسول اللّه لخالد بالعقل كما ترى).

إن خالدا كما قلنا كان من رجال قريش المعدودين فكان أشجعهم قلبا، عالما بفنون الحرب، فارسا مغوارا لا يرهـب الموت، ولا تهوله كثرة الجيوش لكنه مع ذلـك أخفـق فـي محاربة رسول اللّه ولم تنفعه شجاعته ولم تفده فروسيته لذلك كان يرى أنه في غير شيء إزاء رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كما اعترف بنفسه. فماذا يعمل خالد وغير خالد أمـام

النبوة ورسول اللّه يمده اللّه سبحانه وتعالى بالقوى الظـاهرة والباطنة وتقع على يديه المعجزات الباهرة التي دونها بطولة الأبطال وشجاعة الشجعان وعلوم الخلق كافة ويبشـره اللّـه بالنصر والفتح المبين؟ وماذا يفعل وهو يرى انتشار الإسلام ودخول الناس في دين اللّه أفواجا. وقد ألفى نفسـه وحيـدا كعمرو بن العاص لا يقدر على عمل شيء. هذا وقـد كـان رسول اللّه يعرف الرجال ويقدرهم ولذلك كـان يرجـو أن يهدي اللّه خالدا إلى الإسلام ويجعل نكايته مع المسلمين على المشركين، فنصحه أخوه الوليد الذي سبقه إلـى الإسـلام أن يسلم فأثر فيه النصح بعد أن فكر في مواقفه الماضية، وفكر في كرامته فبادر إلى الدخول في الإسلام تكفيرا عن سـيئاته وإراحة لضميره وصونا لكرامته، وقد صدقت فيـه فراسـة رسول اللّه كما صدقت فراسته في عمر بن الخطـاب، فـإن خالدا بعد أن أسلم دافع عن الإسلام دفاعا مجيدا قل أن يحدث مثله في تاريخ العالم. وقد شهد له بذلك الصحابة والأمم التي حاربها من فرس وروم واعترف له علماء التاريخ بالكفايـة الحربية النادرة، وصدق فيه قول رسول اللّه (إنه سيف مـن سيوف اللّه).

وقد كتب الأستاذ أوجست مولر في كتابـه (الإسـلام) يصفه فقال: (لقد كان خالد من أولئك الذين كانت عبقـريتهم الحربية هي كل حياتهم الفكرية، مثل نابليون فإنه لـم يعـن بشيء غير الحرب ولم يرد أن يتعلم شيئا غير ذلك).

وهذا ما قاله خالد عن نفسه (شغلني الجهاد عـن تعلـم كثير من القرآن).

ومن ذا الذي يدري ماذا كان يصنعه خالد لو أنه تلقـى الفنون الحربية واستعمال الأسلحة المختلفة وأساليب القيـادة وخطط الهجوم والدفاع أو لو أنه عاش في زمن انتشرت فيه الطرق المنظمة وامتدت السكك الحديديـة لنقـل الجيـوش وتموينها، في ومن اختراع التلغراف والتليفـون واللاسـلكي والأسلاك الشائكة، والغازات الخانقـة، والمـدافع الكبيـرة والأساطيل العجيبة، والمفرقعات المخيفة، والطيارات التـي تلقي القنابل؟

ألا ترى أنه بمواهبه الحربية الفطريـة وشـجاعة قلبـه وعقيدته الإسلامية قاد جيوش المسلمين علـى قلـة عـددهم وعددهم التي لم تتجاوز السيف والقـوس والفـرس، فهـزم امبراطوريتين ملكتا العالم بكثرة جيوشهما ووفـرة الـذخائر

والمال - ألا وهما الفرس والرومان، فكانت جيوشهما تقتـل وتفر أمامه من الميدان مهزومة، وكبار القادة يصـرعون أو يسلمون، والمدن الحصينة تفتح أبوابها وتسلم وتخضع أمـام قوة العقيدة وصدق الإيمان والإخـلاص وعـدم الاكتـراث بمواجهة الجيوش الجرارة طمعا في الشهادة فهل تقاس هـذه الشجاعة الخارقة وتلك المواهب النادرة التي اكتسحت الأمـم بأي قائد من قواد الدنيا؟ اللّهم لا.

كان خالد بن الوليد موضع إعجاب أبي بكـر الصـديق رضي اللّه عنه وحسن تقديره، فكان إذا هزم الفرس استدعاه لقتال الروم فيسير إلى الشام هو وجيشه الذي كان أطوع لـه من بنانه، من غير أن يذوق للراحة طعما فـلا يكـاد يقـود الجيش في الميدان الآخر حتى يفتح البلاد والحصون المنيعة ويوقع الرعب في قلوب الأعداء فيستولي المسـلمون علـى بلادهم ويفر أمبراطور الروم من وجهه ويودع الشام الوداع الأخيرة كما فر وقتل قواد الفرس وعظماؤهم.

أليس من المدهش أن خالدا لم يهزم فـي موقعـة مـن المواقع بل كان رائده النصر على الدوام؟ وكان العدو يخاف ويقع الرعب في قلبه بمجرد ذكر اسمه أو اقتـراب جيشـه.

لذلك كانوا يبادرون إلى عقد الصلح معه لئلا يداهمهم بما لا قبل لهم به. وقد سأله عظيم من الروم هل أنزل اللّـه عليـه سيفا من السماء يحارب به الأعداء؟

كان إسلام خالد في شهر صفر بعد الحديبيـة، وكانـت الحديبية في ذي القعدة من السنة السادسة الهجرية (فبرايـر سنة ٦٢٨ م).

شهد خالد غزوة مؤتة، وقد كان الأمير في غزوة زيـد بن حارثة واستشهد فيها زيد ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فاستشهد أيضا. ثم أخذها عبد اللّه بن رواحـة فقتـل أيضا. ثم اتفق المسلمون على دفع الراية إلى خالد بن الوليـد فأخذها وقاتل قتالا شديدا. وما زال يدافع القوم حتى انحازوا عنه. ثم ارتد بانتظام وعاد بجـيش المسـلمين سـالما إلـى المدينة، وفي هذه الغزوة سماه النبي صلى اللّه عليـه وسـلم سيفا من سيوف اللّه، إذ لولا تدبره وإحكامه خطـة التقهقـر لقضي على الجيش لقلة عدده أمام ذلك الجيش العظيم.

وشهد خالد فتح مكة، وحنينا، وفي غزوة حنـين قتـل امرأة فنهاه النبي صلى اللّه عليه وسلم عـن قتـل النسـاء، والأولاد، والأجراء.

ثبت في صحيح البخاري عن خالد أنه قال: (اندق فـي يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما ثبت في يـدي إلا صـفيحة يمانية).

وولاه رسول اللّه أعنة الخيل، فكان في مقدمتها، وشهد فتح مكة فأبلى فيها، وبعثه رسول اللّه إلى العـزى (صـنم) فهدمها وقال:

يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت اللّه قد أهانك

وبعد أن هدم خالد العزى رجع إلى رسول اللّه فقال له: هل هدمتها؟ قال نعم. فقال له: هل رأيت شيئا؟ فقال لا. قال فإنك لم تهدمها فارجع إليها فاهدمها. فرجع وهو متغيظ فلمـا انتهى إليها جرد سيفه فخرجت إليه امرأة سـوداء عريانـة ناشرة الرأس فجعل السادان (خادم الصنم) يصيح بهـا قـال خالد وأخذني اقشعرار في ظهري فجعـل السـادان يصـيح ويقول:

أعز شُدِي شدة لا تكذبي ** أعز ألقي للقناع وشمري.

أعز إذا لم تقتلي اليوم خالداً ** فبوئي بذنب عاجل وتنصري.

فأقبل خالد إليها بالسيف فضربها فشقها نصفين ثم رجع إلى رسول اللّه فأخبره. فقال: (نعم تلك العزى قد أيسـت أن تعبد ببلادكم أبدا) ثم قال خالد: (أي رسول اللّه الحمـد للّـه الذي أكرمنا بك وأنقذنا من التهلكة. ولقد كنت أرى أبي يأتي إلى العزى ومعه مائة من الإبل والغنم فيذبحها للقرى ويقـيم عندها ثم ينصرف إلينا مسرورا فنظرت إلى ما مات عليـه أبي وذلك الرأي الذي كان يعاش في فضله كيف خدع حتـى صار يذبح لحجر لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع) فقال رسـول اللّه: (إن هذا الأمر إلى اللّه فمن ييسره للّهدى ييسر، ومـن ييسره للضلالة كان فيها).

ولا يصح لخالد مشهد مع رسول اللّه صلى اللّه عليـه وسلم قبل فتح مكة وأرسله رسول اللّه إلى أكيـدر صـاحب دومة في رجب سنة تسع وأحضره عند رسول اللّه فصالحه على الجزية، ورده إلى بلده.

وأرسله رسول اللّه سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بن مذحج فقدم معه رجال منهم فأسلموا ورجعوا إلى قومهم.

وأمره أبو بكر الصديق رضي اللّه عنـه علـى قتـال مسيلمة الكذاب والمرتدين باليمامة، وكان له في قتالهم الأثر

العظيم كما مر ذكره في كتابنا هذا، وله الآثار المشهورة في قتال الروم بالشام، والفرس بالعراق، وهـو أول مـن أخـذ الجزية من الفرس في صلح الحيرة، وافتتح دمشق وكان في قلنسوته شعر من شعر رسول اللّه يستنصر به ويتبرك فـلا يزال منصوراً.

ولما حضرت خالد الوفاة قال:

(لقد شهدت مائة زحف أو نحوها وما في بدني موضـع شبر إلا وبه ضربة، أو طعنة، أو رمية، وها أنا أموت على فراشي كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء، وما لي من عمل أرجى من لا إله إلا اللّه وأنا متترس بها).

وكان يشبه عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه في خلقـه وصفته.

وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢١هـ ـ (٦٤١ - ٦٤٢ م) وعمره بضع وأربعون سـنة، وكانـت وفاتـه بحمص، وقبره مشهور يزار إلى الآن في ضمن مسجد واقع خارج السور إلى الجهة الشمالية من حمص وقد اتصل بـه العمران وصار حوله لهذا العهد حي يسمى (حي سيدي خالد) كما يسمى المسجد أيضا مسجد سيدي خالد.

قال رفيق بك العظم في كتابه (أشهر مشاهير الإسـلام) وقد زرته مرة فوجدت عليه من المهابة والوقار مـا يأخـذ بمجامع القلوب التي يعرف أصحابها أقدار الرجال ويتأثرون بذكرى عصر أولئك الأبطال.

وقد كان لخالد أولاد كثيرون انقرضـوا جميعـا فـي الطاعون فلم يبق منهم أحد، وورث أيوب بن سلمة دورهـم بالمدينة.

وكان عمر يقول لما مات خالد: قد ثلم في الإسلام ثلمة لا ترتق، ولقد ندمت على ما كان مني إليه.

ورثته أمه فقالت:

أنت خير من ألف ألف من الناس ** إذا ما كبت وجوه الرجال

أشجاع فأنت أشجع من ليـث ** عرين حميم إلى الأشبال

أجواد فأنت أجود من سيـ ـل ** دياس يسيل بين الجبال

ولخالد كرامات منها أنه ابتلع السم فلم يؤثر فيه كما مر ذكره، ومنها ما رواه ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح عن خيثمة قال أتى خالد بن الوليد رجل معه زق خمـر. فقـال: اللّهـم

اجعله عسلا فصار عسلا. رحمه اللّه رحمة واسعة ونفعنـا بذكرى حياته المملوءة عبراً، وشهامةً، وبلاء حسناً في سبيل اللّه. وسنذكر إن شاء اللّه تعالى بقية حروب خالد في خلافة عمر بن الخطاب في كتابنا (عمر بن الخطاب).

وقد أردنا بهذه الكلمة الوجيزة تذكير المسلمين بحياة هذا البطل الطائر الصيت الذي سجل في تاريخ القيادة والبطولـة صفحات ذهبية خالدة، ولا شك (أن حياة خالد خالـدة) فـي الأسفار والقلوب، وأردنا كذلك أن نصور هـذه الشخصـية البارزة بصورة جلية واضحة حتى تكون ماثلة أمامنا باعثـة للّهمم، وعبرة للمعتبرين، وقدوة يقتدي بها الأبناء في حسـن البلاء، والإقدام، والصـبر والإخـلاص، ورفعـة الشـأن، والتمسك بالمبدأ حتى النفس الأخير، فإن بمثـل هـذا القائـد العظيم فتح اللّه على المسلمين فنشـروا التوحيـد والعقيـدة الصحيحة، وقضوا على الوثنية والشرك، ووضـعوا دعـائم العدل والفضل.

## انتهى الكتاب بحمد ا